

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_234880

UNIVERSAL
LIBRARY

الاستاذ احمد

خواطر وسوانح

تأليف

الكونت هنري دي كاستري

ترجمته من اللغة الفرنسية باوت

(المرحوم)

احمد بن محمد بن علي

قام بطبعه وتصحيحه

السيد عبد الرحمن البرقوقي

منشئ مجلة البيان

بطلب من اللجنة التجارية بأول شارع محمد علي بصر

لصاحبها مصطفى محمد

منطبعة السغادة بجوار محافظة مصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى اله وصحبه

ومن والاه

أما بعد فإني عثرت على كتاب فرنساوى ألفه حضرة الكونت هنرى دى كستري فى الدين الاسلامى سنة ١٨٩٦ ميلادية ولما فرغت من قراءته وجدتني منساقا الى ترجمته فلم يدركنى ملل ولا نصب حتى أتيت على آخر الكتاب وعدت فراجعت الترجمة فاذا هى تكاد أن تكون حرفا بحرف ثم توجهت الفكرة الى طبع هذه الترجمة ونشرها على الناطقين بالعربية فاعترضنى بعض الأصدقاء بعد أن أريته شذرات من الترجمة وكان من رأيه عدم النشر بالطبع واحتج بأن الكتاب وان كان غاية فى التدقيق قاصداً نهاية التحقيق غير انه اضطر الى ذكر ما كان يعتقد أنه يتوهمه مسيحيو المصور الخالية فى الدين الاسلامى من الشناعات والسباب وذكر مثل هذه الاشياء وان كان على سبيل الرد عليه ربما شأزت له النفوس ووقع من المطلعين عليه موقع الاعتراض وعدم القبول. فهو لا يروق من هذه الجهة جماعة المسلمين وانني لم يكن ليخطر ببالى مثل هذا الخاطر ولم يدركنى خلدي أن يعترض واحد على ذكر هذه الأشياء فى الكتاب وهى لم تذكر من المؤلف وهو مسيحي على انها حقائق بل أوردتها على انها أوهام علفت بأذهان المسيحيين من تلك الاعصر وترتب عليها ارتسام المسلمين فى تخيلاتهم بالصورة الشنعاء وأراد المؤلف

محوهاته الصور من مخيلات الاجيال الحاضرة فبرهن واقنع واستدل بالحجة القاطعة على ان تلك موهومات لا نصيب لها من الحقيقة وذكر أسباب ايجادها في النفوس ورغب الى قومه أن يستبدلوا تلك الصورة المشوهة بصورة الاسلام الحقيقي وما يدعو اليه من خير واصلاح. فلذلك لم أعول على رأى ذلك الصديق في التأخر عن الطبع الا انه أوجب عندي استشارة غيرى وغيره فرأيت امام الصديق المعارض أصدقاء موافقين وغيرهم مستحسنين وغيرهم آمرين وبالطبع غلب رأى الاكثرين رأى الواحد خصوصاً وانه لم يستند الا على شئ قال ربما يحصل ونحن نقول ربما لا يحصل وان حصل فهو من عدد قليل وانه لو لم يذكر المؤلف ما ذكره من تلك الموهومات ونبه على فساد وبرهن على خلافه لبقى مركزنا في أذهان قومه وبقينا وبنينا عندهم على ماتوهمه السابقون منهم اما وقد فعل فلا شبهة في انه خدم ما استطاع ووجب علينا شكره ما استطعنا ومن تمام شكره اعلام قومنا بكتابته ولكننا لم نرد أن نأخذ به دون اذنه واستمعناه الاذن فيه فتفضل بالاجابة وكان له بذلك كمال الشكر والامتنان

على ان امكان اشمزاز البعض مما جاء في هذا الكتاب من الأقوال التي ردها المؤلف ودل على خطئها بالبرهان لا يقابل الفائدة التي رآها من نشره والذي يقصد الفائدة ويتحرى ما أخذها لا ينبغي له أن يلتفت الى ما عساه يكون من نفور بعض القراء فانهم لو أنصفوا لما نفروا

هذا وان قومي لعلى علم تام من ان مقصد مثلى حسن وغرضي انما هو التنبيه على انه قد وجد من غيرنا من قام للدفاع عنا بذكر الحقائق وسرد

الوقائع التاريخية الصادقة فسفه رأي قومه فينا وابن لهم وجهي الخطي والصواب
ومن الواجب علينا ان نعرف ما قيل عنا وما دفع به الدافعون وليتهم كانوا
منا وان نتعرف صاحبي الرأيين فنعرف المخطي، ولا ندع له باباً آخر للطعن
علينا ونعرف لدى الصنعة صنعة الجميل فنزيده اعتقاداً باستحقاقنا لما صنع
وفينا كتاب الله أعظم مرشد لهذا السبيل فقد حكى بعض المذاهب بنصها
وفصها ورد عليها بغاية الايضاح والتبيين وعندنا كتب سادتنا الاولين في
علوم الاصول والكلام وكلها تحكى المذاهب الباطلة مفصلة وترد عليها
ومن علمائنا السابقين من يوجب حكاية المذهب الفاسد ليتمكن المطلع من
الرد عليه بالدليل فاذا كان هذا هو الحال في المذاهب، التي قررها اصحابها
ويخشى حقيقة من انتشارها لانها مبرهنة بنوع من البرهان وان كان
فاسد المقدمات فما الظن بما حكاها الغير عتاً على غير وجهه اما غلطاً أو قصداً
لغرض مخصوص . أظن انه لا يختلف اثنان في أنه من ألزم الواجبات
حكاية ما حكوه واشهار ما قالوه واذا كان الغرض في القسم الاول هو الرد
عليه فليكن الغرض من هذا القسم معرفة ما رمينا به وهذا بلا ريب ينتج
الرسوخ في العقيدة عندنا وينتج أيضاً اقتناع الواهمين بضد ما توهموه
وهذه النتيجة تقصد لكبار العقلاء ومحبيها أفاضل العلماء.

وفوق هذا فانا ذكرنا ما قالوه قدحاً علينا أو طعناً في ديننا أو صاحبه
عليه الصلاة والسلام نرجع الى أنفسنا ونبحث عما اذ كان لا قوا لهم من أعمالنا
منتزع أم لا فان كان لهم منها منتزع علمنا كما هو الصواب انه ليس من أصل
الدين فلا نلبث ان نتباعد عنه ونرجع لأصل الدين القويم ولا نحيد عن

والعمل به في أي حال من الاحوال وان لم يكن لهم من أعمالنا منزع ادركنا ان لهم غرضاً مخصوصاً وعملاً على ما يزيل هذا الوهم من أنفسهم أو يدفع بهم الى تغيير غرضهم فينا وهم لا شك يحبوننا اذا رأوا منا ذلك المنهج المعتدل والسير على الصراط المستقيم فان مقاومة الوهم بمثله لا تفيد

ثم انه لا ينكر ان في همتنا قصوراً عن البحث فيما يعتقده الناس فينا فاذله قبيض الله لنا من بحث بدالنا ورد الشبه عنا فما أجدرنا بقبول عمله واظهار الرضا به وما أولانا بنشر تحقيقاته بيننا حتى تعم فائدتها جميعنا وربما جرتنا هذا الى الاشتغال بأنفسنا فان ما حك جسمك مثل ظفرك ولا أحسن من ان يتولى الانسان مصالحه بيده مع حفظه حق مرشديه وعدم انكار صنيعهم الجليل

واقدر رأيت للمؤلف من التثبت في النقل والاعتدال في الحكم واستعمال الذوق في الرد واعمال العقل في النقد وطريقة والاستشهاد بالوقائع التاريخية ما فاق به سواه من مؤلفي زمانه فبان لي ان غرضه الحقيقة أياً كانت ولا أوأخذه في بعض مواضع كتابة مما لم يطابق نقله الاحكام الشرعية اذ ربما اعتمد فيه على قول بعض النقلة وربما كان نقله صحيحاً على بعض المذاهب التي لم أقف أنا عليها ولذا لم ألحظ عليه في الهامش ملاحظات مستقلة وفضلاً عن هذا فاني رأيت أن تكون الترجمة نقلاً للاصل برمته ليعلم ما اذا اقصد وماذا كتب ويكفيها منه انه طالب للحق وان جاء في بعض آرائه ما عساه يحمل على الخطأ مثل الذي له في التأويل والحكاية عن اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم واعماله واعتقاداته على انه لا يفوت قراء الترجمة ان الكتاب كتب

لينشر بين قوم المؤلف وكان لا بد له من ملاحظة افكار المكتوب اليهم وأحوالهم وربما اضطر في ذلك الى ابراز بعض الحقائق الثابتة عنده في صورة الاحتمال والامكان كما يشير اليه كتابه الى ايذانا بنشر ترجمته كذلك لم أشأ ان أكون معه من المجادلين لثلاثضيع الحقيقة أو يتجر الامر الى الانكار على صاحب مقصد حميد

هذا وانى تارك هنا ما نحن عليه من وقوف حركة النظم ومن تعطيل قوة البحث في العلوم ومن ترك ما دعينا للعمل به من تواعد الدين ومن الابتداع فيه وعدم العمل بزواجره واجتناب نواهيه ومن اغفال ما حثنا عليه من العلوم النافعة والتربية الناجمة فان ذلك وان كان له مساس بما نحن بصدده الا انه يقتضى الشرح الطويل مما لا يحتمله هذا المقام ولكننا نقول بقولة مجملة بأن الاسلام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يرضى منا بالغفلة عن المنافع أو انصالح ويطالبنا بدفع المفسدة ويحثنا على مكارم الاخلاق ويبين لنا ان كل بدعة ضلالة وان كل ضلالة في النار وان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وان العلم يطلب ولو في الصين وان لا شيء من العلم بضار ولا شيء من الجهل بمفيد وان من احدث في الدين ما ليس منه فهو رد عليه . هذه هي تعالم الاسلام الا ان العصر الحاضرة قد خرجت بالدين الى ما ليس منه فعطلت شعائره الحقيقية ودخلت فيه البدع وتغلبت المعتقدات الفاسدة على القواعد الصحيحة وتمسك الناس بالبدع وتركوا الفرض والواجبات وكاد القرآن يتلى مع الآلات المطربة والصلاة تؤدي في الحانات وانذر العلم وانحلت العزائم وقعدنا عن تحصيل القليل من

ضرورياتنا وتأخرت الترية ففسدت الاخلاق وتناكرت النفوس فاختلفت
 المساعي وتماكست المقاصد ففرقت المنافع وانحل عقد نظام المسلمين
 فاصبحوا اشتاتاً يمتقهم الناس ويرمونهم بالانحطاط ويعيرونهم بما تنزه عنه
 شرعهم ولكنهم ألقوه وبالفوا في التمسك به حتى تبدلت الاحوال وصار
 كما قال صاحب المنار (الجبر توحيداً وانكار الاسباب ايماناً وترك الاعمال
 المفيدة توكلًا ومعرفة الحقائق كفرًا والحاداً وانذاً المخالف في المذهب ديناً
 والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات صلاحاً واختبال العقل وسفاهة الرأي
 ولاية وعرفاناً والذلة والمهانة تواضعاً والخضوع للذل والاستبسال للضمير رضى
 وتسليماً والتقليد الاعمى لكل متقدم علماً وايقاناً)

نعم كان هذا كله واكثر منه مما نمسك القلم عنه وانما سقنا ماذكرنا
 معذرة لمن يفهم من الاجاب ان سوء حالات من جهة ديننا وان
 رصوحننا للجهالة احدى دعاغنه كما يتبين من عرض افكارهم في هذا الكتاب
 والدين براء منه . وكيف نطلب منه حسن الاعتقاد في الاسلام وهم يرون
 المسلمين يأتون من الاعمال ما لا ينطبق على عقل ولم يقل به شرع اللهم
 اذا كان كما فهموه منا . انهم في الحقيقة معذورون اذا نسبوا اعمالنا هذه
 الى الدين فانهم لا يفرقون بين ما هو منه وما هو بعيد عنه وليس لهم الا ان
 يعتقدوا بان عملنا ، أمور به لا منهي عنه

الى هنا نمسك القلم وترك القول للمؤلف سائلين القارىء ان يستصحب
 معه في قراءة هذه الترجمة ما قدمناه من الملاحظات وبالله الاستعانة وعليه
 الاتكال في صلاح الاعمال

مقدمة المؤلف

كنت ذات يوم اجوب جوف الصحارى في ولاية حوران بين زرقوم
وسجير وخلفي ثلاثون فارسا كريما من أولاد يعقوب يمشون جماعات
جماعات لان حدة الخيل كانت تمنع من انتظامها وتجعل بعضها اذا مسه
التالى يصهل صهيل الفيظ ثم يلفت وجهه الى الوراء ويضرب بارجله في الهواء
وعما قليل تسكن ثورته وتعود الجياد الى خطاها مطمئنة يسير أمام الكل
حاد على فرس عظيمة بيضاء لا يهدا لمرآها ساكن الجياد وهو يترنم بما ينعش
الجمع من كلام أغلبه مديح في كاتب هذه السطور فكتبت فيهم كسلطان
يتسابق كل واحد من حاشيته الى ارضائه باستعمال ما حفظ الشرق من
أسرار الانحطاط النفسى في مثل تلك المعاملات وكنت أصغى الى أشعارهم
ساعات متتابعة بغير ملل وقد وعيت البعض منها وكلها أراجيز محبوكة
الاطراف غير تامة المعنى بذاتها فلا تميز بين المادح والمدح والمخاطب
والمتكلم بحيث يصعب علينا معشر الغربيين ادراك مراميها

وكنت ابلغ الخامسة والعشرين من العمر والفصل فصل الشتاء ويومنا
يوم جميل تنشط الابدان حرارته ويبلغ ضوؤه حد البهاء وروائحة تنعش
السالكين وتجعل المستنشق شاعرا بتمام الحياة يخالجنى مع ذلك احساس
آخر هو شغفى بتلك المدوحة التى كان اسمها يروح وينفدو في أقوال

أولئك الشجعان . وبينما نحن سائرون على هذه الحالة اذ سكت الشاعر والتفت قائلاً بصوت خشن سيدي الآن وقت العصر . هنالك ترجلت الفرسان واصطفوا للصلاة العصر مع الجماعة وصلاة الجماعة مفضلة عند الله في اعتقاد المسلمين كما هي كذلك عند المسيحيين أما أنا فقد ابتعدت عنهم وكنت أود ان لو انشقت الارض فابتلعتني وجعلت أشاهد البرانس العريضة تنثنى وتنفرج بحركات المصلين وأسمعهم يكررون بصوت مرتفع الله اكبر الله اكبر فكان هذا الاسم الالهى يأخذ من ذهني مأخذاً لم يوجد فيه درس الموحدين ومطالعة كتب المتكلمين وكنت أشعر بخرج لست أجعل لفظاً يعبر عنه سببه الحياء والافعال أحس بأن أولئك الفرسان الذين كانوا يتدانون أمامي قبل هذه اللحظة يشعرون في صلاتهم بأنهم أرفع مني مقاماً وأعز نفساً ولو اني أطعت نفسي لصحت فيهم (انا أيضاً اعتقد بالله وأعرف الصلاة وكيف أعبد) فما أجمل منظر أولئك القوم في نظامهم لصلاتهم بلباسهم وجيادهم بجانبهم أرسانها على الارض وهي هادئة كأنها خاشعة للصلاة . تلك هي الخيل التي كان يحبها النبي (صلى الله عليه وسلم) حباً ذهب به الى انه كان يمسح خياشيمها بطرف ازاره عملاً بوصية جبريل عليه السلام وكنت أرى نفسي وحيداً في عرض هذه الصحراء على ما انابه من اللباس العسكري الضيق الذي يبرم فيه الجسم الانساني بغير احتشام تلوح على سمات عدم الايمان في مكان هو مسقط رأس الديانات كأني من الحجر أو من الكلاب أمام أولئك القوم الذين يكررون الى ربهم صلوات خاشعة تصدر عن قلوب ملئت صدقا وایماناً . وبينما أنا كذلك اذ جال بخاطري ما ورد في التوراة من أن الله

يسكن خيمة سام ويكثر من اولاد يافث . وقد كان الفريقان مجتمعين في ذلك المكان أولئك المصلون الذين هم من ولد سام معجبون بدينهم وعبادة ربهم ورب آبائهم الله الذي دخل خيمة ابراهيم وأنا ابن يافث الذي يمتد ذكره بالحرب والفتوح ولما انتهى بنا الطريق ورجعت الى مكان راحتي جعلت اكتب ما علق بذهني من الافكار فاحسست انني منجذب بحلاوة الاسلام كأنها أول مرة شاهدت في الصحراء قوما يعبدون خالق الاكوان وذكرت خيام النصارى حيث لا تمتعبد فيها غير النساء وأخذني الغضب من كفر ابناء المغرب وقلة ايمانهم

كنت في سن يستسهل العقل فيه حل المشكلات ويأخذ الاشياء من ظواهرها ويحل الخيال فيه محل النقد والتنقيب ويعتقد المرء في الامور بغير قيد وهو سن لو أنصف أهله لما كتبوا وألفوا وكنت أرى ان جمال الدين أصدق شاهد على أنه الدين الحق وصرت أكتب في الاسلام غير شاعر بله يخطه القلم طوع الفؤاد

ولو أني اتبعت مجرد الظواهر وقضيت على الامور بغير تأمل وتدقيق لجاء كتابي مذموماً ورماني المستشرقون بالخفة والطيش كما يرمون بحق بعض مؤلفي الجزائر من الاوروبايين . ذلك ان المشتغلين بالاسلام في هذه الايام فريقان المستشرقون الذين هم من أفاضل العلماء ومستعربو الجزائر من الافرنج أيضاً ومما لا شبهة فيه ان القسم الاول قد أفاد العلم أكثر من القسم الثاني فان أعمالهم انتجت كثيراً من المناضروالمواد التي يسهل بها اليوم وضع تاريخ للاسلام لأن ذلك التاريخ لا يزال مع ما تقدم في عالم

الغيب وببدهم يأتى مستعربو الجزائر على نسبة الفرق بين غزارة المادة في العلم وسلامة النظر في الموجودات وهم يعيشون مع المسلمين ويفقهون غور أفكارهم ويعلمون حقيقة معيشتهم وكنه ديانتهم معرفة لا تحصل لاحد في غير تلك البلاد وبهذا يرون ان لهم الحق في ان يكتبوا عن الاسلام كالمستشرقين نعم انهم لم يقفوا على جميع ما ألفه المسلمون في الحكمة وعلم الكلام ولكني لا أرى ذلك نقصاً كبيراً اذ معرفة حقيقة الاسلام في هذا العصر لا تحتاج الى سعة اطلاع ديني على ان مطالعة جميع الكتب التي وضعت في مبدا ظهور هذا الدين انما تجب على المؤرخ أكثر من غيره لان علم الكلام وحب الخوض فيه قد اندثر منذ القرن الثاني عشر حيث أصبح الدين الاسلامي قويا متيناً لا تؤثر فيه مناقشة الباحثين وتخاصم المنتقدين كما أودت باصول الديانات الأخرى فمن ذلك الحين صار كل مسلم من عالم وجاهل ومن أمير وحقير مؤمناً ايماناً لا احتياج لتحكيم العقل في تحصيله بل هو ايمان وجداني بسيط قوى في النفس متمكن من القلوب وذلك لا يشاهد في الأمم المسيحية الا عند الفقامين

ومما أوجب الباحثون معرفته على كل مشتغل بالاسلام علم الاسماء المقدسة وهو علم دقيق لا يعرفه المستعربون كثيراً ولم يأت بالفائدة التي كانوا يقصدونها منه ومع ذلك فان العجب يأخذ منهم كل مأخذ اذ قرأوا ترجمة بسم الله الرحمن الرحيم التي تسبق كل سورة من سور القرآن اذ يظهر من تلك الترجمة ان واضعها أراد الوصول الى أصل معني اللفظ في الوضع ونسى ان ذلك البحث ربما جر الى فقد المعني الذي يحضر في الذهن

لسماعه ومن الواضح ان سعة العلم وغزارة المادة اذا بنيت على الفرض والتخمين لا يحتاج بها امام ما اتفق الشعور العام عليه قال المستشرقون ان رحمن اسم وضعته الديانة الوثنية المسيحية لاله الشفقة وهو جائز غير ان هذا اللفظ لا يدل عند المسلمين من يوم دخوله في لغة الاسلام الا على صفة من صفات الله الذي يعبدونه ولم يوجد واحد من بينهم ذهب الى انه اسم من أسماء الألوهية المعروفة قبل الاسلام فلست أرى حينئذ ان المستشرقين مع احترامى لما يقولون قد اكتشفوا على أمر يقدر في صدق القرآن وانه يلزم لذلك نزع معنى الرفق والحنان من لفظة الرحمن لانه معنى يطابق فكر جميع المسلمين في كل زمان ومكان

ولقد رأيت من الواجب أن أبين الصفات التي تخولنى حق الكتابة عن الإسلام قبل أن أنشر كتابى هذا . أنا عاشرت العرب أزماناً طويلاً واشتغلت كثيراً بعرفة حقيقة طباع الشرقيين ومذهبي ومذهب مستعربى الجزائر ولذلك أسأل المستشرقين ذوى الاعتبار عفواً وليناً واطلب منهم قبل كل شئ أن لا يجمعوا بينى وأولئك الذين يميلون الى العرب فيكتبون عن الإسلام ما تلقفوه أثناء سياحة قصيرة فجاء قولهم قولاً شعرياً حتى ان موسيو (لوازون) لم ينبج من هذه السقطة بل طاش قلمه وجذبه التخيلات فكان ممن يرى كل شئ في الشرق جميلاً وجاء رأيي في الإسلام رأى قوال لا رأى باحث حكيم وعليه فلست أقصد بكتابى هذا أن أجد الإسلام ولكنى لما رأيت انه صار من المسائل الكبرى التي اشتغلت بها أذهان الباحثين في العصر الحاضر وأسست من أجله مجلة علمية في باريس

بالمسلمون نجاحاً أدى إلى أن المسيحيين ومنهم أولاد الصليبيين ويساعدوهم
بالمال على إقامة مسجد يعبدون الله فيه انتهزت فرصة هذا الميل وأردت
التنبية إلى بعض أغلاط علقت بالأفكار عندنا من حيث النبي العربي ودينه
الاسلامى وهو عمل شاق وموقف حرج اذ من المعلوم كما قيل انه لا يرسخ
فى الاعتقاد أكثر من خطأ الاعتقاد كذلك أرى انه لا يكفى لأمة مسيحية
متمدنة أن تحترم دين المسلمين من رعاياها بل يجب عليها أن تسعى إلى
معرفة ذلك الدين كما ينبغي فنحن نضحك اشفاقاً من سماع الأقاويص التي
تقرأها عن بغض المسلمين للمسيحيين ونقول أولئك قوم جهلة متعصبون
وانهم فى بغضهم لنا مخطئون الا ان المسيحيين هم كذلك فى بغضهم للمسلمين لا
يعدلون وأشد الأوهام رسوخاً عندنا بالنظر إلى الديانة الاسلامية ما اختص
منها بشخص النبي ولذلك قصدت أن يكون بحثى أولاً فى تحقيق شخصيته
وتقرير حقيقته الأدبية على أجد فى هذا البحث دليلاً جديداً على صدقه
وأمانته المتفق تقريباً عليها بين جميع مؤرخى الديانات وأكبر المتشيعين
والدين المسيحي



الفصل الاول

﴿ صدق محمد (صلى الله عليه وسلم) ﴾

محمد والأغاني المعروفة بأغاني الاشارات - محمد والتاريخ - أصل
الاعتقاد - الوحي بالقرآن - ليس محمد مبتدعاً - هل
كان على الدوام صديقاً - وفاته

كنت كلما بحثت في الديانات مع صاحب لى من طلبة العلم في تلمسان
وأراد الهرب من الجدال يميني هم يقولون ان لله ولدا وان محمداً لمن
الساحرين اجابة مملوءة بالاحتقار كما يجب المعتقد وثنيًا يريد أن يشفق عليه
وذلك مع مبالغته في احترامى وحسن الصلات بيننا وكان يرى ان التثليث
خرافة فادحة كسحر محمد وان المسيحيين الذين اخترعوا البدعتين قوم
لا ينبغي الجدال . مهم ولست أدري ما الذى يقوله المسلمون لو علموا أقاصيص
القرون الوسطى وفهموا ما كان يأتي في أغاني القوال من المسيحيين فجميع
أغانينا حتى التي ظهرت قبل القرن الثاني عشر صادرة عن فكر واحد كان
السبب في الحروب الصليبية وكلها محشوة بالحقده على المسلمين للجهل الكلى
بديانتهم وقد نتج عن تلك الأناشيد تثبيت هاتيك القصص في العقول ضد ذلك
والدين ورسوخ تلك الأغلاط في الأذهان ولا يزال بعضها راسخا الى هذه الايام
فكل ناشد كان يعد المسلمين مشركين غير مؤمنين وعبداء أو ثان مارقين وقد

جعلوا لهم ثلاثة آلهة هم على ترتيب درجاتهم ماهوم ويقال ماهوم وبافوميد وماهوميد وهو محمد (صلى الله عليه وسلم) ثم (أبلين) ثم (ترفاجان) وذهبوا الى ان محمداً وضع دينه بادعائه الألوهية ومن المستغربات قولهم ان محمداً الذى هو عدو الأصنام ومبيد الأوثان كان يدعو الناس لعبادته فى صورة وثن من ذهب كما كان يعتقد (الكلوقنجيون) وان المسلمين لما غلبهم الافرنج وصدوهم الى أسوار سرقسطه عادوا الى أصنامهم فخطبوها كما طنطن به أحد منشدى ذلك العصر حيث قال (وكان ايلين الههم فى مفارة هناك فتراموا عليه وأومعوه شتما وسبا وصلبوه من يديه فى أحد العمدان وجعلوا يدوسونه بأقدامهم ويوجعونه ضرباً بالعصى حتى هشموه وأما (ماهوم) فقد رموه فى حفرة وتركوا الكلاب والخنازير تنهشه وتمشى عليه وتلك اهانة لم تصب الها قبله) ويظهر ان المسلمين لم يلبثوا ان تابوا من ذنبهم واستغفروا آلهتهم وأصلحوا ما ألتفوه منها ولذلك أمر الامبراطور كارلوس بآبادتها لما دخل سرقسطه كما جاء فى قول ذلك الشاعر (وقد أمر الامبراطور الفرنساويين فطافوا جميع انحاء المدينة ودخلوا المساجد والجوامع وبأيديهم مطارق من حديد فكسروا بها ماهوميد وجميع الأوثان والأصنام) وكذلك يقول (ريشار) فى أناشيده وهى جميلة لاشئ من الخراف فيها الا انها زور وبهتان حيث يطلب من الله أن يوقع الفشل العميم بين (أولئك الذين يعبدون بصورة ماهوم) ثم جعل يحرض الأشراف على الحرب المقدسة وينصحهم أن ينكسوا أصنام المسلمين) قوموا ونكسوا صنم ماهوميد وترفاجان وصبوهم على النار وقدموهم الى ربكم) وذهبوا الى

ان صورة ماهوم كانت تصنع من أنفاس الاحجار والمعادن بأحكام صنع
وأدق اتفاق ومن قرأ وصفه في أناشيد (رولان) كاد يحلف ان ذلك
الشاعر انما يصف عن خبر وعيان يقول وكانت كلها من الذهب والفضة
لو شاهدتها لا يقنت بانه لا يمكن للعقل ان يتصور أجمل منها عظمة الشكل
لطيفة الصنع تلوح على وجهها سمات الشهامة . كان (ماهوم) من ذهب
وفضة يأخذ بريقها بالابصار قد وضع فوق فيل على جلسة من أجمل
المصنوعات خاويًا من جوفه فيرى الضوء من خلاله برصعا بنفائس
الاحجار المضيئة يرى الناظر باطنه من الظاهر وهو صنع (عز عن
المثال والنظير) ولما كانت الآلهة تنزل الوحي وقت الشدائد وانهمزم المسلموى
في احدى غزواتهم بعث قائدهم الى مكة يطلب ربه قال الراون
جاء الاله محمد في موكب عظيم يضرب بالظبل والمزامير ضربا
يسمع له دوى قاصف وبعضهم يغنى بالمزمار والآخر بصفارة من
الفضة والكل حولهم يرقصون ويغنون بأعلى أصواتهم وأقبلوا به فرحين
حيث المجلس معقود والخليفة الدينى فى انتظاره فلما رآه قام يعبده
بخشوع وخشوع ثم أخذ (ريشار) بعد ذلك يقص كيفية مناجاة
أوثلك الوثنيين لذلك الصنم الذى وصفه بالتجوير وان لا شىء فى باطنه
الا ويرى من الخارج فقال (وقد وضعوا فى جوفه عفريتًا استحضره
السحرة وصار ينط ويعربد ثم أخذ يكلم للمسلمين وهم يسمعون) ولقد
زاد بنفضهم لذلك الصنم حتى جعلوه علامة على الدين الاسلامى كما جعلوا
الصليب علامة للدين المسيحى فروى (بودوان) فى نشيده على الكونتيسة

(بوتنيو) لما أرادت ان تعتنق الاسلام امام صلاح الدين انها قلت (أريد أن أعبد محمداً فأتوني به فلما صار بين يديها خرت ساجدة اليه) ويأخذ القارىء من نشيد آخر يظهر انه وضع تنمة لانا شيد (بودوان) وجود الهين للمسلمين غير الذين سبق ذكرهم وهما (بارتوان) و (جوين) الا ان الثلاثة الأولين هم الرؤساء ولما رد أحد قواد المسيحيين جيش المسلمين الذي خرج من مكة أخذ الشاعر يصف اضطراب المسلمين كما يأتي (وقد جعل الوثنيون يصيحون ويصرخون ويموجون بينهم ويهرجون وينادون بأعلى أصواتهم يا (ترفاجان) يا (ماهوم) ومع ذلك يوجد نشيد من أناشيد القرون الوسطى لا يرى فيه القارىء رمزاً الى محمد بالصنم وهو للقسيس (اسكندروديون) الفه سنة ١٢٥٨ ميلادية أخذاً عن مسلم تنصر من ذوى الاعتبار وعد الناس تلك القصة تاريخاً صحيحاً عن ذلك النبي وقد جاء فيها (انه من المعلوم ان محمداً كان عالماً بطرق المكر والخيانة والخداع) ثم شبهه باحد الأمراء المحاط باتباعه ينشر دينه على أبسط حال حتى اعتقده الناس أكثر مما اعتقدوا حبر رومة

ولقد أطلنا القول في تلك الأضاليل لان تاريخ (اسكندر) المذكور لم ينزلها ولانها تركت أثراً في الاذهان وصل الى أهل هذه الايام وتشبعت به أفكارهم في النبي وكتابه

ولو سأل سائل هل كان أولئك المنشدون يعتقدون صحة ما بقولون لأجنبناه جواب أهل نوومندة لا ونعم اذ من الحق ان الاختلاط بين المسيحيين والمسلمين سهل للمنشدين معرفة الدين الحمدي على حقيقته

ولكنهم ما كانوا يقصدون الحقائق التاريخية في أناسيدهم بل حفظ روح
 البغضاء في نفوس قومهم فاحتاجوا في ذلك الى وصف المسلمين ونبههم
 ودينهم بالأوصاف التي تؤثر في نفوس المنشود لهم على حسب معارفهم
 وأميلهم واذا انتقلنا من شعراء القرون الوسطى الى من جاء بعدهم من
 المؤرخين والمتكلمين (الباحثين في علم التوحيد) الذين يظهر على كتبهم في
 ذلك الزمن أنهم ميالون الى الاعتدال وجدنا مؤلفاتهم محشوة بتلك
 الأقاصيص الخرافية مملوءة بالطعن والشتائم في نبي المسلمين وكان المصلحون
 (هم البروتستان أيام دعوتهم لاصلاح الدين المسيحى) أشد تمصباً ضده من
 غيرهم فقد اعتنى (يبيلياندر) بتشبيه محمد بالشیطان وعاملوا كتابه وشرعه
 كما عاملوه ولسنا نقيم برهاناً على ما نقول غير توجيه نظر القارىء الى
 مطالعة ما جاء في مقدمة كتاب (ريلان) الذى ألفه سنة ١٧٢١ تحت
 عنوان (ما هو السبب فى أن الناس عامة لا يعرفون من الديانة المحمدية
 الا شيئاً يسيراً) حيث يقول لو أراد الباحثون أن يصموا مذهباً أو
 طريقة بوصمة الخزي والعار نسبوها الى محمد فقالوا مذهب محمدى أو
 طريقة محمدية وهكذا) والف القس (دون مارتينو الفرنسو) فيقال (دو)
 كتاباً سماه سراج الكنيسة المقدسة الذهبى جاء فيه (أن كتاب محمد
 لا تلزم قراءته بل يجب أن يسخر به وأن يحترق ويرمى فى النار أنى وجد
 ولا يليق أن يحفظه الناس لانه عمل بهيمى) وبعضهم كان لا يقول بحرقه
 ولكنه يرى (من العبث أن يجهد الانسان نفسه ويزيد ايلامها بحفظ
 هزئيات وأمور تافهة منشؤها خيالات شخص اختل عقله واضطربت قواه)

وأما المسلمون فمن اسمائهم في تلك الكتب البلدة والكسالى والحمير
والحمير الوحشية والممقوتون الذين يملأون المنزل بالنساء في الليل ويطلقونهن
في النهار ولو أردت الاطلاع على جمعة الشتائم والسباب فعليك بكتاب الفه
أحد اليسوعيين وهو (بروشار) وسماه مرشد السياحة وقدمه الى الامير
(فيليب روقالو) سنة ١٣٣٢ وذكر فيه الاسباب التي تحملها على الدعوى
الى حرب صليبية فقال (من ذا الذي لا يذرف عبرات الدمع عندما يعلم
أى الرجال هم قابضون اليوم على تلك البقاع التي هي ميراثنا أولئك قوم
لارب لهم ولا دين يهديهم ولا شرع يرجعون اليه ولا عهد ولا حنان
أولئك قوم أخساء اذنياء وهم اعداء لكل حقيقة في الوجود وكل صفاء
وكل خير وكل عدل أولئك هم أعداء الصليب الكافرون بالله المضطهدون
للمسيحيين المفرطون في نسيانهم الفاسقون بالاطفال الظالمون لعجم
الحيوانات المخالفون لطبائع البشر القتالون للفضائل المميتون للاخلاق
الفارقون في القبائح والخطايا أولئك هم أولياء الشيطان وأنصار الدنيا ذو
حق وبغض ذوو افكار سافلة وأعمال سخيصة وعيشة دنيئة وأقوال بذيئة
وعشرة سوء معدية لا تنصرف ارادتهم ولا تتجه همهم الا الى اللذائذ البهيمية
والمعيشة الهمجية أولئك هم القوم الذين أبعدونا عن تلك البقاع وآذونا
في هذه البقعة الصغيرة التي نحن فيها مستهزئين بنا وساخرين بديننا أولئك
هم الذين خربوا بيت الله وملكوا المدينة المقدسة التي هي مهبط شرعنا
ولو ثا انا كنها المقدسة المطرة)

ولم يزل هذا الروح سائداً عند المسيحيين حتى ان المستشارة

(بريدو) الانكليزي الف سنة ١٧٣٣ كتاباً في سيرة النبي عنوانه (حياة
 ذى البدع محمد) وترجمه بعضهم إلى لغتنا وجعل له مقدمة بين فيها
 مقصد المؤلف فقال (ان غرض واضع هذا الكتاب هو خدمة المقصد
 المسيحى الحكيم بذكر حياة ذلك الرجل الشرير محمد) أولئك كتاب
 ما قصدوا التاريخ ولكنهم أرادوا خدمة المقصد المسيحى الحكيم
 كما يقولون وكان سلاحهم الوحيد فى تأييد سواقط حججهم أن
 يشبهوا خصمهم سباً وشتماً وان يحرفوا فى النقل مهما استطاعوا وأراد
 (داماسين) أن يخالفهم فى التأليف لكونه تربى فى دمشق الشام وكان
 مقرباً عند الخلفاء فجعل يرد مذهب الاسلام من غير تعصب لذلك عده
 بدعة فى الديانة المسيحية تقرب من بدعة (أريوس) ومع ذلك فلم
 تؤثر عبارته فى رأى الغربيين بل ظلوا يعتقدون الخرافات فى النبي وقرآنه
 وكان رؤساؤهم الروحانيون يجتهدون دائماً فى تأييدها وتمكينها من الازهان
 وهى سياسة جعلت الناس عندنا يهزأون بالدين الاسلامى وأغنت الباباوات
 عن حربه جرباً صحيحاً فقد كانت الكنيسة اللاتينية فى القرن الثامن
 مشغولة بأمر آخرى لان الكنيسة الشرقية كانت واقعة بين عاملين مضرين
 هما احزاب النفس الواحدة فى جسدين واحزاب النفس فى جسم واحد
 ولم يبدأ فى البحث عن الاسلام بغير تعصب ولا تشيع الا فى زمننا
 هذا ففى القرن التاسع عشر أخذ الباحثون ينظرون الى المسئلة نظر الناقد
 البصير وكان من وراء ذلك ان افترق الناس فى القرآن الى معجب به وطاقن
 فيه ومع ذلك لا تزال نرى فى لسان هذا القسم الأخير ما تشم منه رائحة

تأثرهم بالأفكار الماوية قال موسيو (دروخي) في سياحته في بلاد العرب التي نشرها سنة ١٨٧٨ عن النبي (انه عربي خائن دني) وقد نسي ان هذه الالفاظ التي يشتمز منها السامع لم تعد تصلح اليوم حجة على صحة الدعوى وأول ما دار البحث فيه مسألة صدق النبي في رسالته وقد قلنا ان ذلك متفق عليه بين المستشرقين والمتكلمين على التقريب ومعلوم انه لا ارتباط بين هذه المسئلة وبين كون القرآن كتابا منزلا ولسنا نحتاج في اثبات صدق النبي الى أكثر من اثبات انه كان مقتنعا بصحة رسالته وحقيقة نبوته أما الغرض من تلك الرسالة في الاصل فهو اقامة اله واحد مقام عبادة الاوثان التي كانت عليها قبيلته مدة ظهوره ويبان ذلك ان اسماعيل لما خنقت عليه سارة وطرده من عائلة أبيه توجه الى بلاد العرب ونقل اليها ديانة أبيه ابراهيم الا انه لم يبق بين العرب من تلك الديانة سوى شيء قليل يشبه الخيال اذ لم يكن عندهم من يذكرهم على الدوام بان رب ابراهيم هو رب عزيز لا يقبل له شريكا كما حصل ذلك لبني اسرائيل ولا يزال هذا الاعتقاد يزول شيئا فشيئا وتحل محله عبادة الآلهة التي كانت معروفة في أمم أخرى حتى تنوسى دين اسماعيل تماما ثم دخلت اليهودية في بعض القبائل المجاورة لبلاد الشام ولكن الديانة المسيحية لم تعلق في تلك البقاع حتي ان (تيت) فس بصره اعترف في القرن الرابع بأن معيشة العرب الرحالة النقلة تمنع من انتشار تلك الديانة في بحيث جزيرة العرب تلك هي حالة الدين ببلاد العرب الى القرن السابع وقد بحث فيها الكتاب كل على حسب أمياله وكما اعتقد لذلك تناقضت أقوالهم

في اعتبارها والحكم على أهلها فقال موسيو (رونان) لا يوجد في تاريخ
التمدن كله صورة أجل من حالة بلاد العرب قبل الاسلام ومن رأيه
أن القبائل في تلك البقاع كانت تدين باليهودية أو بالدين المسيحي وكانت
مشتغلة بحركة دينية عظيمة وقال موسيو (بارتيلي سانت هيلير) لو صح
أن أولئك الاقوام كانوا على جانب عظيم من التمدن كما يدعون لما احتاجوا
الى تلك التعاليم الأدبية التي تقسم ابداننا لسماعها (حرمت عليكم امهاتكم
وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الإخت) ومن
رأى هذا المؤلف ان العرب كانت أمة متبربرة في حالة من التوحش تقرب
من حالة العبرانيين أيام بعث فيهم موسى بمثل ما تقدم من التحاريم . ولست
أريد الخوض في ترجيح أحد الرأيين ولكني أرى ان التوسط في الامر
أقرب الى الصواب وأن أمة العرب قبل النبي كانت وثنية على وجه العموم
وكان مذهب توحيد الاله يخطر في الازهان رويداً رويداً وكان المشخصون
لهذا الاعتقاد فريقين يقال لهم الاحناف بقوا على مذهب ابراهيم (عليه السلام)
واما المسيحيون فكانوا فرقا كثيرة كلها تعتقد بمذهب التكثير (تعدد
الالهة) وتلقى محمد مذهب أولئك الاحناف بحالة سطحية لكن لما كانت
نفس ذلك النبي مفعورة على التشبع بالدين تكيف هذا المذهب في وجدانه
حتى صار اعتقاداً لم تصل اليه نفس قبله الا قليلا وهو ذلك الاعتقاد المتين
الذي احدث انقلاباً كلياً في النوع البشري ومن الخطأ أن نبحث عن هذا
المبدأ العميم فيضه في غير طريقة الاحناف لأن محمداً ما كان يقرأ ولا يكتب
بل كان كما وصف نفسه مراراً نبياً أمياً وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من

معاصريه ولا شك انه يستحيل على رجل في الشرق أن يتلقى العلم بحججه
لا يعلمه الناس لان حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان على ان القراءة والكتابة
كانت ممدومة في ذلك الحين من تلك الاقطار ولم يكن بمكة قارى أو كاتب
سوى رجل واحد ذكره (جارسين دى تاسى) فى كتابه الذى طبعه
سنة ١٨٧٤ كذلك من الخطأ مع معرفة أخلاق الشرقيين أن يستدل على
معرفة النبي للقراءة والكتابة باختيار (السيدة) خديجة (رضى الله عنها) اياه
لمتاجرها فى الشام ولم تكن لتعهد اليه أعمالها ان كان جاهلا غير متعلم فانا
نشاهد بين تجار كل قوم غير العرب وكلاء لا يقرأون ولا يكتبون وهم فى
الغالب أكثرهم أمانة وصدقا

ثبت اذن مما تقدم ان محمداً (صلى الله عليه وسلم) لم يقرأ كتابا مقدسا
ولم يسترشد فى دينه بمذهب متقدم عليه خلافا لما ذهب اليه (اسكندر ديون)
حيث (يقول انه كان يعرف فى دين اليسوع قراءة وكتابة) نعم ان البحث عن
معرفة المصادر التى عساه يكون تلقى عنها بالمشافهة ديانة المسيح أو الديانة
اليهودية أو ديانة عباد الكواكب قد يكون مفيداً لمعرفة المواقفات التى
جاءت بين القرآن وبين التوراة الا أنه بحث ثانوى اذ لو فرض وكان القرآن
قد نقل بعضاً من الكتب المقدسة الأخرى لبقى الأمر مشكلاً كما كان عليه فى
معرفة حقيقة ما اختلج بروحه الدينى وكيف وجد فيها ذلك الاعتقاد الثابت
بوحداية الله حتى استولى عليه روحاً وجسماً ولقد نعلم انه مر بمتاعب كثيرة
وقاسى آلاما نفسية كبرى قبل ان يخبر برسالته فقد خلقه الله ذات نفس تمحصت
للدين ومن أجل ذلك احتاج الى العزلة عن الناس لكي يهرب من عبادة

الاولان ومذهب تعدد الالهة الذي ابتدعه المسيحيون وكان بغضهما متمكناً من قلبه وكان وجود هذين المذهبين اشبه بآبرة في جسمه (صلى الله عليه وسلم) ولكي ينفرد بما نزل فيه من الفكر العظيم وهو وحدانية الله تعالى اعتكف في جبل حراء وارخى العنان لفكره يجول في بحار التأملات عابداً منهجداً ومضت عليه هذه الحالة ليال من ليالى هاتيك البقاع التي تملأ النفس انشراحاً حتى جاء عنها في لسان العامة أن الملائكة تسأل ربها لو أذن لهم فيهبطوا من السماء لقضاء ليلهم على الارض اعجاباً بجمال الليل فيها وشوقاً الى صفاته وجلاله

ولعمري فيم كان يفكر ذلك الرجل الذي بلغ الاربعين وهو في ريعان الذكاء ومن أولئك الشرقيين الذين امتازوا في العقل بحدة التخيل وقوة الادراك لا بوضع المقدمات وتعليق النتائج عليها ما كان الا أن يقول مراراً ويعيد تكراراً هذه الكلمات (الله أحد الله أحد) كلمات رددتها المسلمون أجمعون من بعده وغاب عنا معشر المسيحيين مغزاها لبعدها عن فكرة التوحيد ولم يزل عقله مشتغلاً حتى ظهر هذا الفكر في كلامه على صور مختلفة جاءت في القرآن (لم يلد ولم يولد ولم يكن له شريك ولم يكن له كفواً أحد) وكانت مترادفات اللغة العربية تساعد بمعانيها الرقيقة على ترداد ذلك الفكر السامي الذي دلّ عليه ومن تلك الافكار وتلك العبادة تولدت كلمة الاسلام (لا إله الا الله)

ذلك هو أصل الاعتقاد باله فرد ورب صمد منزّه عن النقائص يكاد العقل يتصوره وهو اعتقاد قوى يؤمن به المسلمون على الدوام ويمتازون به

تأثرهم بالأفكار الماضية قال موسيو (دروخي) في سياحته في بلاد العرب التي نشرها سنة ١٨٧٨ عن النبي (انه عربي خأن دني) وقيد نسي ان هذه الالفاظ التي يشتمل منها السامع لم تعد تصلح اليوم حجة على صحة الدعوى وأول مادار البحث فيه مسألة صدق النبي في رسالته وقد قلنا ان ذلك متفق عليه بين المستشرقين والمتكلمين على التقريب ومعلوم انه لا ارتباط بين هذه المسئلة وبين كون القرآن كتابا منزلا ولسنا نحتاج في اثبات صدق النبي الى أكثر من اثبات انه كان مقتنعا بصحة رسالته وحقيقة نبوته أما الغرض من تلك الرسالة في الاصل فهو اقامة اله واحد مقام عبادة الاوثان التي كانت عليها قبيلته مدة ظهوره ويبان ذلك ان اسماعيل لما خنقت عليه سارة وطرد من عائلة أبيه توجه الى بلاد العرب ونقل اليها ديانة أبيه ابراهيم الا انه لم يبق بين العرب من تلك الديانة سوى شيء قليل يشبه الخيال اذ لم يكن عندهم من يذكرهم على الدوام بان رب ابراهيم هو رب عزيز لا يقبل له شريكا كما حصل ذلك لبني اسرائيل ولا يزال هذا الاعتقاد يزول شيئا فشيئا وتحل محله عبادة الآلهة التي كانت معروفة في أمم أخرى حتى تنوسى دين اسماعيل تماما ثم دخلت اليهودية في بعض القبائل المجاورة لبلاد الشام ولكن الديانة المسيحية لم تعلق في تلك البقاع حتي ان (تيت) فس بصره اعترف في القرن الرابع بأن معيشة العرب الرحالة النقلة تمنع من انتشار تلك الديانة في بحيت جزيرة العرب تلك هي حالة الدين ببلاد العرب الى القرن السابع وقد بحث فيها الكتاب كل على حسب أمياله وكما اعتقد لذلك تناقضت أقواله

في اعتبارها والحكم على أهلها فقال موسيو (رونان) لا يوجد في تاريخ
التمدن كله صورة أجل من حالة بلاد العرب قبل الاسلام ومن رأيه
أن القبائل في تلك البقاع كانت تدين باليهودية أو بالدين المسيحي وكانت
مشتغلة بحركة دينية عظيمة وقال موسيو (بارتيلي سانت هيلير) لو صح
أن أولئك الاقوام كانوا على جانب عظيم من التمدن كما يدعون لما احتاجوا
الى تلك التعاليم الأدبية التي تقتسمر ابداننا لسماعها (حرمت عليكم امهاتكم
وبنائتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت) ومن
رأى هذا المؤلف ان العرب كانت أمة متبربرة في حالة من التوحش تقرب
من حالة العبرانيين أيام بعث فيهم موسى يمثل ما تقدم من التحريم . ولست
أريد الخوض في ترجيح أحد الرأيين ولكني أرى ان التوسط في الامر
أقرب الى الصواب وأن أمة العرب قبل النبي كانت وثنية على وجه العموم
وكان مذهب توحيد الاله يخطر في الازهان رويداً رويداً وكان المشخصون
لهذا الاعتقاد فريقين يقال لهم الاحناف بقوا على مذهب ابراهيم (عليه السلام)
واما المسيحيون فكانوا فرقا كثيرة كلها تعتقد بمذهب التكثير (تعدد
الالهة) وتلقى محمد مذهب اولئك الاحناف بحالة سطحية لكن لما كانت
نفس ذلك النبي مفطورة على التشبع بالدين فكيف هذا المذهب في وجدانه
حتى صار اعتقاداً لم تصل اليه نفس قبله الا قليلا وهو ذلك الاعتقاد المتين
الذي احدث انقلابا كلياً في النوع البشري ومن الخطأ أن نبحث عن هذا
المبدأ العميم فيضه في غير طريقة الاحناف لأن محمداً ما كان يقرأ ولا يكتب
بل كان كما وصف نفسه مراراً نبياً أمياً وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من

معاصريه ولا شك انه يستحيل على رجل في الشرق ان يتلقى العلم بحسب
لا يعلمه الناس لان حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان على ان القراءة والكتابة
كانت معدومة في ذلك الحين من تلك الاقطار ولم يكن بمكة قارئ أو كاتب
سوى رجل واحد ذكره (جارسين دى تاسى) فى كتابه الذى طبعه
سنة ١٨٧٤ كذلك من الخطأ مع معرفة أخلاق الشرقيين أن يستدل على
معرفة النبي للقراءة والكتابة باختيار (السيدة) خديجة (رضى الله عنها) اياه
لمتاجرها فى الشام ولم تكن لتعهد اليه أعمالها ان كان جاهلا غير متعلم فانا
نشاهد ابن تجار كل قوم غير العرب وكلاء لا يقرأون ولا يكتبون وهم فى
الغالب أكثرهم أمانة وصدقا

ثبت اذن مما تقدم ان محمداً (صلى الله عليه وسلم) لم يقرأ كتابا مقدسا
ولم يسترشد فى دينه بمذهب متقدم عليه خلافا لما ذهب اليه (اسكندر ديون)
حيث (يقول انه كان يعرف فى دين اليسوع قراءة وكتابة) نعم ان البحث عن
معرفة المصادر التى عساه يكون تلقى عنها بالمشافهة ديانة المسيح أو الديانة
اليهودية أو ديانة عباد الكواكب قد يكون مفيداً لمعرفة المواقفات التى
جاءت بين القرآن وبين التوراة الا أنه بحث ثانوى اذ لو فرض وكان القرآن
قد نقل بعضاً من الكتب المقدسة الأخرى لبقى الأمر مشكلاً كما كان عليه فى
معرفة حقيقة ما اختلج بروحه الدينى وكيف وجد فيها ذلك الاعتقاد الثابت
بوحداية الله حتى استولي عليه روحاً وجسماً ولقد نعلم انه مر بمتعاب كثيرة
وقاسى آلاما نفسية كبرى قبل ان يخبر برسالته فقد خلقه الله ذات نفس تمحصت
للدين ومن أجل ذلك احتاج الى العزلة عن الناس لكي يهرب من عبادة

لاوثان ومذهب تعدد الآلهة الذي ابتدعه المسيحيون وكان بغضهما متمكناً من قلبه وكان وجود هذين المذهبين اشبه بآبرة في جسمه (صلى الله عليه وسلم) ولكي يفرد بما نزل فيه من الفكر العظيم وهو وحدانية الله تعالى اعتكف في جبل حراء وارخى العنان لفكره يجول في بحار التأملات عابداً متهجداً ومضت عليه هذه الحالة ليال من ليالى هاتيك البقاع التي تملأ النفس انشراحاً حتى جاء عنها في لسان العامة أن الملائكة تسأل ربها لو أذن لهم فيهبطوا من السماء لقضاء ليلهم على الأرض اعجاباً بجمال الليل فيها وشوقاً الى صفاته وجلاله

ولعمري فيم كان يفكر ذلك الرجل الذي بلغ الأربعين وهو في ريعان الذكاء ومن أولئك الشرقيين الذين امتازوا في العقل بمحبة التخيل وقوة الادراك لا بوضع المقدمات وتعليق النتائج عليها ما كان الا أن يقول مراراً ويعيد تكراراً هذه الكلمات (الله أحد الله أحد) كلمات رددتها المسلمون أجمعون من بعده وغاب عنا معشر المسيحيين مغزاها لبعدها عن فكرة التوحيد ولم يزل عقله مشتغلاً حتى ظهر هذا الفكر في كلامه على صور مختلفة جاءت في القرآن (لم يلد ولم يولد ولم يكن له شريك ولم يكن له كفواً أحد) وكانت مترادفات اللغة العربية تساعد بمعانيها الرقيقة على ترديد ذلك الفكر السامى الذى دل عليه ومن تلك الافكار وتلك العبادة تولدت كلمة الاسلام (لا إله الا الله)

ذلك هو أصل الاعتقاد باله فرد ورب صمد منزّه عن النقائص يكاد العقل يتصوره وهو اعتقاد قوى يؤمن به المسلمون على الدوام ويمتازون به

على غيرهم من القبائل والشعوب أولئك حقاً المؤمنون كما يسمون أنفسهم
بألسنتهم . ولقد يستحيل ان يكون هذا الاعتقاد وصل الى النبي (صلى الله
عليه وسلم) من مطالعته التوراة والانجيل اذ لو قرأ تلك الكتب لردّها
لاحتوائها على مذهب التثليث وهو مناقض لفطرته مخالف لوجدانه منذ
خلقته فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو أعظم مظهر في حياته
وهو بذاته اكبر دليل على صدقه في رسالته وأمانته في نبوته

وأما مسألة الوحي بالقرآن فهي اكثر اشكالا واكبر تعقيداً لان
الباحثين لم يهتدوا الى حلها حلاً مرضياً والعقل يحار كيف يتأتى أن تصدر
تلك الآيات عن رجل أمي وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر
بنى الانسان عن الاتيان بمثلها لفظاً ومعنى آيات لما سمعها عقبة بن ربيعة
حار في جهالها وكفى رفيع عباراتها لاقتناع عمر بن الخطاب فأمن برب قائلها
وقاضت أعين نجاشي الحبشة بالدموع لما تلا عليه جعفر بن ابي طالب سورة
زكريا وما جاء في ولادة يحيى وصاح القسوس ان هذا الكلام وارد من موارد
كلام عيسى قال ناقل هذه الرواية (كوزان دى ييرسوفال) فلما كان اليوم
الثاني طلب النجاشي جعفر وأشار اليه بتلاوة ما في القرآن عن المسيح ففعل
واستغرب الملك لما سمع أن المسيح عبد الله ورسوله وروح منه نزل في أمه
مريم ثم تناول قضيباً دقيقاً كان أمامه وقال لجعفر ان الفرق بين ما سمعناه
منك الآن عن عيسى وبين ما تقول ديانتنا عنه لا يزيد عن سمك هذا
القضيب وقد قوى ذلك القضيب فنع الحبشة من الاسلام وجعلها مسيحية
الى الآن اكن نحن معشر الغربيين لا يسعنا ان نفقه معاني القرآن كما

هي لمخالفته لافكارنا ومغايرته لما ربيت عليه الامم عندنا غير أنه لا ينبغي أن يكون ذلك سبباً في معارضة تأثيره في عقول العرب ولقد أصاب (جان جاك روسيو) حيث يقول (من الناس من يتعلم قليلاً من العربية ثم يقرأ القرآن ويضحك منه ولو انه سمع محمداً صلى الله عليه وسلم) عليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة وصوته المشبع المقنع الذي يطرب الآذان ويؤثر في القلوب والتفت الى انه كلما بدت أحكامه أيدها بقوة البيان وما أوتيته من بلاغة اللسان لخر ساجداً على الارض وناداه أيها النبي رسول الله خذ بيدنا الى مواقف الشرف والفخار أو مواقع التهلكة والاحطار فنحن من أجلك نود الموت أو الانتصار قال (بولاتقيلير) اني لاعترف بانه من الصعب ان يظن الانسان ولا يتحير في أمره ان قوة الفصاحة الانسانية تؤثر ذلك التأثير خصوصاً وأنها تصدر عالية بغير ضعف أبداً وتتجدد رفيعة معجزة اذ تقصر دون تمثيلها رجال الارض وملائكة السماء وقد أشار المؤلف في كتابه الى الآية الآتية

(أم يقولون افتراه قل فأتوا به بر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا ان ما أنزل بعلم الله وان لا اله الا هو)

وكيف يعقل أن النبي ألف هذا الكتاب باللغة الفصحى مع أنها في الازمان الوسطى كاللغة اللاتينية ما كان يعقلها الا القوم العالمون ولقد أعجب من موسيو (رينارد دوزي) في كتابه تاريخ الاسلام حيث يقول في الصحيفة العشرين بعد المائة (ان في القرآن أغلاطاً نحوية كثيرة وان تلك

الاغلاط جعلت فيما بعد من جملة قواعد النحو أو مستثنيات من قواعدهم) ولعمري أي مصدر اعتمد عليه ذلك المؤلف فيما ادعى مع اننا لم نعهد كتباً نحوية قبل الاسلام ولو صح وجود شيء منها فلا بد انه كان عزيزاً نادراً وقد شاهدنا ان اناساً وما كان اكثرهم أميين قاموا في أمة العرب وادعوا النبوة منهم مسيامة الذي زعم انه قرين محمد أتى بسور سخر العرب منها ولو لم يكن في القرآن غير هاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك أن يستولى على الافكار ويأخذ بجماع القلوب. أتى محمد بالقرآن دليلاً على صدق رسالته وهو لا يزال الى يومنا هذا سرّاً من الاسرار التي تعذر فك طلاسمها ولن يسبر غور هذا السر المكنون الا من يصدق بانه منزل من الله اللهم الا اذا اعتمدنا على قول مجدى الديانة المسيحية مما كنا نرتاح اليه ايام شببيتنا وهو يرجع الى أن القرآن تأليف فاتح أراد تأييد سلطته فجمع من كتب اليهود والمسيحيين قانوناً اودعه بعض قواعد الادب والدين و اضاف اليه قصص الوقائع العظيمة لتأييد رسالته) وعلى كل حال اى سواء توصلنا الى معرفة حقيقة القرآن ام لا فلا ينكر احد ان مظهر محمد كان مظهر نبوة بالفعل بقطع النظر عن صدق تلك النبوة وعدم صدقها لان النبوة من حيث هي عبارة عن قيام رجل على الناس امر ربه ويعتقد حقاً ان ما يقوله آت من عند الله وهو تعريف اعلم ان المسيحيين لا يقبلونه سواء كانوا من المتكلمين او الحكماء الباحثين الا أنني ما اردت به التوفيق بينهما بل قصدت به تمهيداً للايضاحات التي اريد ان اقدمها للقراء في عرض رسالتي

وعلى ما تقدم اقول ان لظهور النبوة سببين مختلفين فاما ان تكون

صادرة عن وحى سماوى أو عن اتقاد في الذهن واشتداد في حركة النفس الباطنية والمتأثر باحد هذين السببين يفعل به قهراً غير مختار فمصادق على الحالين وتكون النبوة حقيقية أو كاذبة بحسب المؤثر فيها فان كان الهياً فالاول والا فالثانى ولو رجعنا الى ما وضعه الحكماء عن النبوة ولم يقبله المتكلمون من المسيحيين لامكننا الوقوف على حالة مشيد دعائم الاسلام وجز مناباته لم يكن من المبتدعين فمحمد كما قال (ايوالد) عن انبياء بنى اسرائيل اعتقد ان روحاً من الله استولت على لبه فلم يعد يشعر بان له فكراً خاصاً بل انه أوتيه من عند ربه واختفت في نظره انانيته ولم يعد يسمع غير صوت ذات فوق ذاته ومن الصعب ان نقف على حقيقة سماعه لصوت جبريل (عليه السلام) هل كان ذلك في الحلم أو غيبوبة في عالم التصورات الالهية على ان معرفة هذه الحقيقة لا تغير موضوع المسئلة لان الصدق حاصل في كل حال

كذلك لو قال قائل ان القرآن ليس كلام الله بل كلام محمد (صلى الله عليه وسلم) فلا بد لنا على الحالين من الاعتراف بان تلك الآيات البينات لا تصدر عن مبتدع ابداً خلافاً لرأى من ذهب الى تكذيب نبوته ولعل رأيهم جاء من ضيق اللغة التي تلجئنا الى أن نرمي بالكذب نبياً هو في الحقيقة شخص مليء امانة وصدقا.

واحد نعلم أن الصوت الذي كان يسمعه نبي المسلمين شبيه بالصوت الذي ايقظ ايوانس من قبله فقال له (يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر) فلما سمع ذلك تلكاً وتباطأ واستعصى على هذا النداء فضعفت صحته واستولى عليه الهلع كرجل يخاف ان يذهب لبه ثم انتهى

به الحال الى ان صدع بامر ربه وجعل يبشر الناس وحصل على شئ من الراحة
وان لم ينلها بتمامها لانه كان كثير التألم كما يؤخذ ذلك من سورة هود
والقارعة والحاقة

ومن ذلك الحين أخذت شفتاه تنطلق بالفاظ بعضها أشد قوة وابتعد
مرمى من بعض والافكار تتدفق من فيه على الدوام الى ان يقف لسانه
ولا يطيعه الصوت ولا يجد من الالفاظ ما يعبر به عن فكر قد ارتفع عن
مدارك الانسان وسما عن ان يترجمه قلم او لسان وكانت تلك الانفعالات
تظهر على وجهه بادية فظن بعضهم ان به جنة وهو رأى باطل لانه بدأ رسالته بعد
الاربعين ولم يشاهد عليه قبل ذلك أى اعتلال فى الجسم أو اضطراب فى القوة
المادية وليس من الناس من عرف الناس جميع أحواله فى حياته كلها مثل (النبي
صلى الله عليه وسلم) فلقد وصل المحدثون عنه الى انهم كانوا يعدون الشعر الابيض
فى لحيته ولو انه كان مريضاً لما أخفى مرضه لان المرض فى مثل تلك الاحوال
يعتبر امراً سماوياً عند الشرقيين وليست حالة محمد (صلى الله عليه وسلم) فى
انفعالاته وتأثراته بحالة ذى جنة بل كانت مثل التى قال نبي بنى اسرائيل فى وصفها
(لقد شعرت بان قلبي انكسر بين اضلعي وارتعشت منى العظام وصرت
كالنشوان لما قام بي من الشعور عند سماع صوت الله وأقواله المقدسة)

اذن ليس محمد من المبتدعين ولا من المنتحلين كتابهم وليس هو نبي
سلاب كما يقول موسيو (سايس) نعم قد نرى تشابهاً بين القرآن والتوراة
فى بعض المواضع الا ان سببه ميسور المعرفة ذلك أن محمداً كان يلصق
ديانة الاسلام بالديانتين المسيحية واليهودية فالبحت مباح فيما اذا كان مذهبه

صحيحاً أو موضوعاً اتخذ ليؤيد به الحقيقة الدينية من حيث هي ولا يمكن
لانسلم انكار هذه الحقيقة وحينئذ لا عجب اذا انشابهت تلك الكتب في بعض
المواضع خصوصاً اذا لاحظنا ان القرآن جاء ليتممها كما ان (النبي صلى الله عليه
وسلم) خاتم الانبياء والمرسلين

والآن نلخص لك مذهب نبي المسلمين في الديانات الثلاث فنقول ان
دين الانبياء كان كله واحداً فهم متحدون في المذهب منذ آدم الى محمد وقد
نزلت ثلاث كتب سماوية وهي الزبور والتوراة والقرآن . والقرآن بالنسبة
الى التوراة كالتوراة بالنسبة الى الزبور او ان محمداً بالنظر الى عيسى كعيسى
بالنظر الى موسى ولكن الامر الذي تهتم معرفته هو ان القرآن آخر
كتاب سماوي ينزل للناس وصاحبه خاتم الرسل فلا كتاب بعد القرآن ولا
نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولن تجد بعده لكلمات الله تبديلاً اذا تقرر هذا
لم يعد هنالك وجه للاستغراب من وجود بعض التشابه بين القرآن والتوراة
فمحمد كعيسى قال انه بعث ليتم رسالة من قبله لايبيدها فلم يكن من امره
الابتعاد عن تقدمه ولذلك كان يصرح على الدوام بانه يعيد على الناس ما نزل
على الانبياء من قبله وكان يسمع صوتاً من السماء يقول له (انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق
ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وايتنا داود
يزبوراً ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله
موسى تكليماً رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
وكان الله عزيزاً حكيماً) وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا

انافاعبدون . وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاستلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلمهم يتفكرون) على ان بعض المشابهات لا تحتاج الى مثل هـ هذا التفسير اذ نفس محمد كانت متأثرة بما تأثرت به نفوس الانبياء من بنى اسرائيل وكان يعبد الله الذى عبدوه فلا عجب ان تشابهت الفاظ التضمرات وتجانست أنواع الدعاء

اذن لا يمكن أن ننكر على محمد صلى الله عليه وسلم في الدور الاول من حياته كمال ايمانه واخلاص صدقه فأما الايمان قلم يترزعزع مثقال ذرة من قلبه في الدور الثانى وما أوتيته من النصر كان من شأنه أن يقويه على الايمان لولا أن الاعتقاد كله قد بلغ منه مبلغاً لا محل للزيادة فيه ولم يكن فيه عيب بل ان ما نسبوه اليه من هذا القبيل لا يؤثر بشيء على سيرته الطاهرة فما كان يميل الى الزخارف ولم يكن شحيحاً بل كان كما قال ابو الفداء يستدر اللبن من نعاجه بنفسه ويجلس على التراب ويرتق ثيابه ونعاله بيده ويلبسها مرقعة مرتقة وكان قنوعاً خرج من هذا الباب كما رواه ابو هريرة ولم يشبع من خبز الشعير مرة في حياته هذا هو النبي الذى قال عنه المنشدون من النصارى (انه كان منهما يأتى المغيبات فى الحانات) تجرد من الطمع وتمكن من نوال المقام الاعلى في بلاد العرب ولكنه لم ينجح الى الاستبداد فيها فلم يكن له حاشية ولم يتخذ وزيراً ولا حشماً وقد احتكر المال والمعالي وبلغ من السلطان متناه ولم يكن له من علامات الامارة والملك سوى قضيب من الفضة مكتوب عليه (محمد رسول الله) ولم يكن فيه عيب الا كما خلق

الله الانسان قال (رونان) خلق الانسان ضعيفاً فلا يقوى على احتمال الرسالة الربانية زمناً طويلاً ومن لم تطل مدة رسالته فهو من البررة المعصومين ومع ذلك فرونان لا يعتقد بصدق رسالة النبي العربي

على انه لو صح انه كان فيه عيوب أكبر مما نسب اليه لما قدح ذلك في رسالته لان هبة النبوة كواهب الوحي لا تستلزم حتماً خلواً من اختصاصها فلقد هفا داوود مع بذت صاباً ونحن نعلم ان من ذريته المباركة أنبياء بني اسرائيل وان الله ينزل حكمه آيات تحار فيها الافكار ومهما اجتهدنا في ادراك كل معنى من معانيه فاننا به جاهلون فلقد وعد ملوك بني اسرائيل ان يرسل المسيح من اصلاهم ورأينا ان عيسى ولد على غير ما عهدوا

على ان محمداً (صلى الله عليه وسلم) كان يقول عن نفسه انه يخشى العذاب ويسأل الله الا فران وكم من مرة شوهدت على وجهه علام الهلع وما به من هول رسالته عند ما كان يتلو على الناس آيت الفزع الا كبر هذا ما كان من صدقه وأمانته في السنين الاولى من بعثته حتى سماه

معاصروه بالامين * وأما حاله في بقية مدته بعد ان صار رئيساً سياسياً * فالاستدلال عليه أدق وأدعى الى اّول البحث والتنقيب قال (رينارد دوزي) يكاد أن يكون من المستحيل الجزم بان محمداً كان في آخر حياته يعتقد بصدق رسالته أما في الدور الاول فاعتقاده وصدقه لا شك فيهما والادلة كثيرة من الجانبين ووضع المسئلة على هذه الكيفية هو الذي فرق بين الباحثين وانتصر كل حزب من المتطافين لرأى رجحة تبع امياله وما يشتهي الا ان الناقد المنصف لا يجب عليه أن يرجح قولاً على آخر بدون

ملاحظة القرائن التي تتبع الاثنين ولكن الناس كما وصفهم (موسىو
 مونور) محتاجون الى الايقان والاعتقاد وهم في احتياجهم هذا يميلون
 الى من يلقي عليهم المسائل كأنها حقيقة ثابتة ويعتقون من ينههم عن الاعتقاد
 بشيء أو نفيه مطلقاً بغير تثبت ولا دليل ولست ممن يدعي الترفع عن هذا
 التقرير غير اننى أقول انه بفرض صحة المذهبين وان صدق النبي في آخر
 حياته وعدمه سيان في الوضوح والدليل فلا يزال عندنا سبيل آخر
 للوصول الى الحقيقة أو القرب منها الا وهو علم النفس وحركاتها وهذا
 العلم وان لم يبلغ بعد الدرجة التي تزيل كل شبهة علقته بالافكار لكنه مع
 ذلك يوصلنا الى الايقان بان من الانبياء من لا يتيسر للباحثين أن يجزموا
 بشيء في أمرهم كأن يؤكدوا انهم صادقون أو أنهم جروا في أعمالهم على ما
 يخالف الواقع وهم يعلمون كما يفعل السياسيون وما من كاتب ولا باحث
 يستطيع أن يجزم بان الامبراطور كونستنتان الذي رفعه القسوس مكاناً
 علياً في المعابد واختصوه بالمواهب الالهية كان صادقاً بعد انتصاره في قنطرة
 (ميلفيوس) ولكن محمداً قاوم الوثنية بعزم واحد طول الحياة ولم يتردد
 لحظة واحدة بينها وبين عبادة الواحد الاحد كما فعل الملك الرومانى وإيمانه
 كان حقاً ثابتاً على الدوام لذلك لم تتغير حميته ولم تفتر عزيمته فقد انتهت كما بدأ
 ولو أنه جال بفكره ساعة من زمانه شك في صدق رسالته لكفى بنصره
 الدائم مزيلاً لهذه النعمة ومؤيداً له في صحة صبوته وصدق رسالته .

وفي الصدق درجات فليتينها الباحثون وليفقها قبل أن يحكموا
 بالبدع وهم مخطئون ولقد عانى محمد صلى الله عليه وسلم كثيراً مع بنى قومه اذ كانوا

منكرين ولم يأخذهم على غرة منهم بعد ان صاروا مؤمنين نحن لا نصدق بما يقولون بل نرى ان قومه كانوا في استعمال أمانته من المتطرفين ولئن أعجم لهم القول حيناً في مخاطبتهم فذلك لانه يعز وجود من يحب الحق ولا تلجئه الحوادث الى الاعجام طلباً لتقريره في ذهن قوم جاحدين ان الذين ينكرون صدق محمد في آخر حياته لا يستطيعون أن ينكروا عليه انه بقي الى آخر لحظة منها نبياً رسولاً شديد التمسك بمذهبه وانه فارق الدنيا موقناً باداء رسالته فلقد اتفق مؤرخو العرب طراً على الحوادث التي تخللت ايامه الاخيرة وأورثونا عنهم ما كان من حركاته وسكناته بقول واحد ومعنى لا يتغير مما يبرهن على صدق حديثهم وأمانتهم في نقلهم ولولا زيغ المنشدين من النصارى وكثرة تخيلهم لما قالوا (ان محمد اقدمات نهشه الخنازير اذ وجدوه نشوان وليس عنده معين ولا نصير) تلك جريئة لا تغتفر ومما يستغرب له المطالع ان يجد حكاية هذا الموت الفاضح في تاريخ الحرب الصليبية الاولى لمؤلفه (جيبير دى نوجان) وهو معدود من المؤرخين الذين لا يميلون الى التخريف غير انه أتى بهذه الاكذوبة وزاد عليها ان المسلمين كرهوا لحم الخنزير من ذلك التاريخ فلنسدل ثوب النسيان على هذه الاقاصيص المحزنة ولنقرأ كيفية وفاة النبي في كتب المؤرخين الصادقين

لما قربت المنية خارت قواه وخرج الى الحج بمكة في شهر مارس سنة ٦٣٢ ميلادية وهى حجة الوداع وخطب في الناس على منبر المسجد المقدس فقال رب انى أديت رسالتى وبلغت أمانتى اليوم قال الله تعالى (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوه واخشون اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم

نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ثم رجع الى المدينة وأقام بيت عائشة)
 زوجته المصطفاة برضا من زوجاته ولما أحس بقرب الاجل ذكر الفقراء
 فانه لم يرغب طول حياته في المال بل كان كلما جمع اليه شيئاً منه انفق في
 الصدقات وكان قد أعطى عائشة يسيراً لتحفظه فلما حضره المرض أمر نفاقه
 على المعوزين لساعته وغاب في سنة ولما أفاق سألها ان كانت أنفدت أمره
 فأجابته كلا فأمر بالنقود وأشار الى العائلات المعوزات فوزع عليهم وقال
 (الآن استراح قلبي فاني كنت أخشى ان ألاقى ربي وأنا أملك هذا المال)
 وكان في مرضه يخرج كل يوم ليصلي الظهر بالناس وآخر يوم خرج
 فيه هو الثامن من شهر يونيه سنة ٦٣٢ وكانت مشيته مضطربة فتوكل على
 الفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب وقصد منبر الخطابة الذي كان يعظ
 الناس عليه قبل الصلاة وحمد الله وأثنى عليه ثم خطب في المسامين بصوت
 رفيع سمعه من كان خارج المسجد فقال (أيها الذين تسمعون قولي ان كنت
 ضربت أحداًكم على ظهره فدونه ظهري فليضربه وان كنت أسأت سمعة
 أحد فلينتقم من سمعتي وان كنت سلبت أحداً ماله فاليه مالى فليقتص منه
 وهو في حل من غضبي فان الغل بعيد عن قلبي) ثم نزل من المنبر وصلى
 بالجماعة ولما أراد الانصراف أمسك به رجل من ازاره وطلب منه ثلاثة
 دراهم ديناً له فأداها على الفور (قائلاً لخزي الدنيا أهون من خزي الآخرة)
 ثم دعا لمن حارب معه في أحد وسأل الله لهم الرحمة والغفران وكان مشهد
 النبي بين المؤمنين في ذلك اليوم مشهد جلال ووقار والناس يلمحون على
 وجهه تأثير السم الذي شربه من يديهودية خبير وقلوبهم منفطرة من الوجد

عليه ذلك انه لما كان في واقعة خيبر قدمت اليه يهودية اسمها زينب شاه مشوية أضافت اليها سما فأخذ منه النبي قطعة واحدة بين شفتيه وأحس بأنها مسمومة فألقاها . ثم لما حضرته نلوفاة بعد حين كان يقول (مازالت تعاودني أكلة خيبر) وكان ابو بكر نفسه يبكي ويقول للرسول (هلافتينا روحك بأرواحنا) ثم أوصله الصحابة الى بيت عائشة واضطجع تعباً مهزولاً وصار المرض يشتد عليه فتخلف عن الصلاة بالمسلمين وقيل له قد جاء وقت الظهر فأشار الى ابي بكر ليصلي بالناس فكان من وراء هذه الاشارة خلافة ابي بكر بعد النبي . واخبرت عائشة رضى الله عنها عن حالة الاحتضار فقالت (كانت رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم مسندة الى صدرى وبقره قد رماء وكان يقوم ليضع فيها يده ويمسح جبينه ويقول (رب اغنى على تحمل سكرات الموت اذن منى يا جبريل رب اغفر لى واجمع بينى وبين أصدقائى فى السماء ثم ثقلت رأسه ومال ثانية الى صدرى)

أما خلفاته فبيت بناه بيده وبضع نياق آلت الى بيت المال لانه عليه الصلاة والسلام قال (نحن معاشر الانبياء لا نورث)

الى هنا تقصر القول عن ذات النبي فما أردنا أن نطيل فيها الا لنعرف حقيقة تلك النقس المتشعبة بالدين اذ الدين يدعو الى الدين وكان من الوجوب دقة البحث عن اعتقاده (صلى الله عليه وسلم) قبل ان نتبع دينه كيف انتشر ولا يزال ينتشر فى الوجود

الفصل الثاني

﴿ الاسلام في زمن الفتح ومدة حكم العرب ﴾

استعصاء بلاد العرب على الاسلام — القديس (أوغستان)
ومعاقبة أهل البدع — انتشار الاسلام وملاينته في الشرق
اعتناق الاسلام بمصر في زمن بنى أمية — الاسلام في
الاندلس — اضطهاد قرطبة — تعذيب (فلورا)
العدراء المضطهدون في مرا كش — نتائج
ملاينة الدين الاسلامى

قال القديس (بولص) يطلب اليهود معجزات ليصدقوا واليونان ادلة
ليؤمنوا وأما العرب فانهم آمنوا بغير معجزات ولا أدلة اذ النبي كان يقول
جلسائه على الدوام انه آدمى مثلهم وانه مرسل اليهم وانه محرد عن كل
سلطان في المعجزات (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما إلهكم اله واحد
قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب
لاستكثر من الخير وما مسنى السوء ان أنا الانذير وبشير لقوم يؤمنون)
وأما البراهين فنحن نعلم مقدار بعد عقله عن التخيلات الذهنية
كالامة التى بعث فيها الا أننا رأينا الاسلام في واقعة بدر سنة ٦٢٤ ميلادية
وليس له من الانصار الا ثلثمائة وأربعة عشر نفرا فلم يمض عليه قرن واحد

محتى اجتاز جبال (الالب) وتوسط البلاد الفرنسية وقد أسلمت الشام
والعجم ومصر وبلاد الغرب من مرا كش الى الجزائر الى تونس الى
طرابلس . نعم قد سبق هذا الانتشار العظيم عناء شديد واضطراب في العمل
كثير واضطهاد للناس كبير شأن كل ديانة عامة في مبدأ ظهورها ولكن
الاسلام لم يلبث ان تغلب على أكبر العثرات فهد الصعاب حتى صار لا يعرف
حاجزاً ولا ممانعاً

وما أشبه الدين في انتشاره بامتداد السائلات الطبيعية فهو نتيجة
مؤثرين مؤثر داخلي يسمى المقاوم ومؤثر خارجي وهو المحرك والاول خفي
لا يظهر أثره وان كان هو الذي يلتقط جميع الحرارة الواصلة الى الجسم فعمله
الوحيد التغلب على مقاومة العناصر فاذا انحلت جاء المؤثر الخارجي فنشأ
عنه مع اختلاف يسير تمدد الجسم العظيم الذي يسمى تبخراً وقد احتاج
الاسلام في الانتشار الى التغلب على قوة العوائد والتقاليد التي وجدها وهو
مانع يصادف كل دين جديد الا انه كان قوياً للغاية عند العرب لتمسكهم
بعاداتهم واعجابهم برسوم قبائلهم العريقة القديمة وكان من الصعب جداً
ان يعتنقوا ديناً يرى آباءهم غير مطهرين ومن الموانع التي قوت العرب في
استعصائهم على الاسلام ما شتمل عليه من مبدأ قهر النفوس وتذليلها للواحد
المعبود فالقول بالمساواة بين الناس طراً امامه كان ثقيلاً على آذان العرب
مخالفاً لتقاليدهم الاولى حتي يدينوا اليه بغير عناء ولذلك فان الاسلام سنة
٦٢٣ ميلادية ايام وفاة النبي لم يكد يبلغ حدود جزيرة العرب الا أنه كان
بين المسلمين الاولين رجال من العظماء اعترف بفضلهم (بروغل)

حيث قال (ان الذين آمنوا بمحمد كانوا قوما صادقين ذوي دراية وذكاء منهم ابو بكر وعمر ورجلان توليا زمام مملكة فسيحة الارحاء فاحسن سياستها وكانا ذوي ثبات وعدل وقناعة وفضل وشدة عزيمة وكانا ارفع قدراً وابعد مرمي من القياصرة والحكام الذين حاربوهما) ومن الذين ان الدين الاسلامي لم يلق في طريقه من المقاومات الا ما قابل به العرب الوثنيون فانهم كما قدمنا كانوا مدفوعين الى المقاومة بسبب تمسكهم بعوائدهم وشعائهم القديمة وحبهم لحريةهم واستقلالهم فكان جميع تلك القبائل المنشورة وهم رحل في الوديان غيورون على اطلاقهم في الفلوات لا يرفون من الحكم الاسواق الماشية على المرعى ومحاربة بعضهم في كل آن وتكوين أمة واحدة منهم أكبر عقبة قامت في وجه النبي ولولا قوة الدين الجديد لما بقيت تلك الوحدة زمناً طويلاً الى انها لم تدم الا وقتاً وعادت بعد ذلك الى التفرق والانقسام غير ان القبائل بعد تفرق وحدتها لا تزال متمسكة بدينها الجديد وصار الاسم العربي ذا المقام الاول بين الاسماء في جميع أطراف المسكونة وصار كل ينتسب الى عائلة من عائلات الجزيرة خصوصاً عائلة قريش ذات المجد الباذخ والشرف الرفيع وهذا هو السبب في اطلاق اسم العرب في التاريخ على أمور كثيرة فقالوا عائلة كذا عربية وأمه كذا عربية وتمدن كذا عربي مع انه لا جامعة بينها وبين بلاد العرب سوى الاسلام

ولم تتوحد قبائل العرب لتصير أمة واحدة من غير اراقة الدماء بل قامت حروب داخلية اذ كتبها الاحقاد القديمة وجلبت على المتحاربين خسائر جمة وكان النبي صلى الله عليه وسلم مهتماً كثيراً بفتح العرب

كلها اظهوره بينهم وكون بلاد العرب صارت مطلع شمس الاسلام حيث ترسل أشعة نورها في جميع الأقطار وكان أشياعه يسمونه على الدوام يكرر عليهم هذا النداء (لا يكون دينان في العرب أبداً) ولذلك نزلت في القبائل المعاندة تلك الآيات التي تنذر بغضب الله (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير) (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين . ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فاحبط أعمالهم . فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) وقد نظر بعضهم الى هذه الآيات وما يماثلها فاتهموا النبي بالتعصب أفما كان يجب عليه أن يحارب بقوة السلاح المعاندين من الوثنيين ليبيد تلك الديانة الى الأبد من بلاد العرب كما انها هي التي أخذت على مذهب التوحيد مذهب الخليل قبل الاسلام وأن يجعل بين المؤمنين وبين عبادة الاصنام حداً فلا يرجعوا اليها (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)

ولقد فرق جميع مفسري القرآن على الدوام بين الوثنيين وبقية الكافرين فالجوسى على قول خليل هو الوثني الذي لا يعترف المسلمون بديانته كما يعترفون بدين اليهود والنصارى وليس له مقام في دارهم وان أدى الجزية لانها غير مقبولة منه ويجب عليه أن يهاجر في ثلاثة أيام من يوم تكليفه بذلك أو ان يعتنق الاسلام أو ان يموت على اننا نرى في الكتاب الخامس من الزبور أمراً بالتشدد في معاملة الوثنيين قال (اذا أدخلك ربك في أرض

لتمسكها وقد اباد أمما كثيرة من قبلك فقاتلهم حتى تفنيهم عن آخرهم ولا تعطهم عهدا ولا تأخذنك عليهم شفقة أبداً) كذلك أمر الله اسرائيل باستئصال سكان المدائن التي اختص بها قومه ولم يأمر بالاشفاق الاعلى المدن البعيدة التي لاتصل عدواهم اليه ثم ان شدة اعتقاد النبي وقوة ايمانه بأن القرآن انزل اليه ليخرج الناس من الظلمات الى النور سببان يؤيدانه في استعمال الحرب فكان مثل أشعيا يخدم ربه بابادة الوثنيين كذلك اعتناق بعض القبائل للإسلام في مبدأ ظهوره كان أوجب عداوات شتى اشتعلت بسببها نيران الفتن في بلاد العرب اجمعها وما كان ينبغي للنبي حباً في السلام ان يترك الباطل يعملو على كلمة الحق المبين

كتب القديس اوغستان وعصره ليس ببعيد عنا كتابه الشهير الى الكونت (بونيفاس) يشير عليه فيه باستعمال القوة لردع اهل البدع من المسيحيين وردهم الى الديانة النصرانية (راجع ترجمة هذا الخطاب في الملحق الثاني) وقد جاء فيه تمثيل المنشقين بيفال تعض وترفص قوما يعالجونها مما اصابها وهم ماجئون الي تعذيبها ليمكنوا من تضميد جراحها وان الطفل الصغير لاتتيسر ترييته بغير السياط والايلام الجسماني فالاضطهاد الذي يستعمل ضد الاشرار لردهم الى طريق الخير اكبر خير يصنع معهم نعم لا يشك أحد في ان حمل الناس على طاعة الله بالحسنى وبالتعليم أولى من الجأئهم اليها بالارهاب والتعذيب الا ان الناس رجلان فمنهم من يسهل اقناعه بالمنظرة فيرجع الى الحق ومنهم النفي المكابر ولقد دلتنا التجارب ولا تزال ترينا ان من الناس من ينفع الخوف في تعليمهم أو في استعمال ما تعلموه على

الوجه الذى ينبغى ثم أخذ الكاتب يشرح للمكتوب اليه ان الاضطهاد عدل وظلم فهو عدل من الاتقياء ضد الاشقياء وظلم من هؤلاء على الأولين قال (تضطهد الكنيسة من تحب ويضطهد الأشرار من يكرهون فهي تريد جمع الشمل وهم يفرقون وهى تجرى خلف الهدى وهم للضلال يسارعون) ولقد كان يتعذر ان يلاقى الناس تساهلاً ولينا من الاسلام فى مبدأ ظهوره لما فيه من المخالفة لثورة الدين فى نفس النبي وأصحابه الأولين ولكن بعد ان دانت العرب وآمنت بالقرآن واستنارت القلوب بنور الدين الخفيف برز المسلمون فى ثوب جديد أمام أهل الأرض قاطبة هو المسالمة وحرية الافكار فى المعاملات وتتابعت آيات القرآن تأمر بالمحاسنة بعد تلك الآيات التى كانت تنذر القبائل المارقة (لا اكره فى الدين قد تبين الرشد من الغى . ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم . واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرةً جيلاً . وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)

هكذا كانت تعاليم النبي بعد اسلام العرب وقد اقتفى أثره فيها الخلفاء من بعده وذلك يحملنا على القول كما قال (روبنسون) ان شيعة محمد هم وحدهم الذين جمعوا بين المحاسنة ومحبة انتشار دينهم وهذه المحبة التى دفعت العرب فى طريق الفتح وهو سبب لا حرج فيه فنشر القرآن جناحية خلف جيوشه المظفرة اذ اغاروا على الشام وساروا سير الصواعق الى أفريقيا الشمالية من البحر الاحمر الى المحيط الاطلانطىقي ولم يتركوا أثراً للعسف فى طريقهم لا ما كان لا بد منه فى كل حرب وقتال فلم يقتلوا أمة أبى الاسلام ولو

قارنا بين اغارة المتبررين وبين اغارة المسلمين التي تلتها لوجدنا الثانية
أخف ضرراً وأكثر ليناً فكلمنا النبي المسلمون بأمة خير وها بين واحد من
ثلاث الاسلام أو الجزية أو تحكيم الحرب حتى تضع أوزارها هكذا كانت
الوامر التي زود بها أبو بكر السديق خالد بن الوليد لما أنقذه الى الشام
وقد سرت هذه الأوامر الا في الوثنيين لما تقدم بيانه من أنهم كانوا يعاملون
بغير معاملة الأمم الاخرى ومما يحسن هنا ان نقابل بين أوامر أبي بكر
(رضي الله عنه) وبين تعاليم الكتاب الخامس من الزبور فيما يتعلق بحصار
المدائن ومعاملة الكلدانيين قال (اذا اقتربت من مدينة لتحاصرها فاعرض
عليها الأمان فان قبلته فقد سلم كل من فيها وان أبت وباداتك بالعدوان
فشدد الحصار عليها ومتى وفقك الله للظفر بها فاحطم رأس كل ذكر فيها
محمد الحسام)

ولم يلق المسلمون من نصارى آسيا وافريقيا الا مقاومة خفيفة آخذوا
بعدها الى الدين الجديد واقد مضى زمن طويل وهم ينسبون سقوط تلك
الكنائس في حوزة الاسلام مع ما كان لها من المكانة الرفيعة قبله مثل
كنائس (قرطاجنة) الى ما استعمله المسلمون معهم من العنف والتعصب
وعدم المحاسنة وذهب معاصرو هذا الفتح من المؤلفين الى تفسيره بما يلائم
أحوال زمنهم فنسبوا سرعة تقدم الاسلام الى ما استحققه المسيحيون من
غضب الله عليهم فأراد ان يعاقبهم على زيفهم وأراد قوم من المتعبدین ان
يؤيدوا هذه الحجة وان يحرصوا الناس على التوبة فبالغوا في ذلك الزيف
وشددوا النكير على النصارى وصاروا يوعزون بان الجيوش الاسلامية انما

هى الآلة التى أراد الله أن ينتقم منهم بواسطتها ذلك لان الفتح الاسلامى وتفرق الكنائس المسيحية فى آسيا وأفريقيا حادثان متلازمان فلا لوم على المؤرخين فى الجمع بينهما حتى أن الفاتحين انفسهم ما كانوا يفرقون بين اعتناق الاسلام والرضوخ للقوة الظاهرة ولكن الخطأ عند الجميع هو تعليقهم الثانية على الاولى مع انه لا يوجد بينهما التفاعل من بعض الوجوه فكما أن الفتح الاسلامى حمل النصارى على ترك دينهم كذلك تفرق ذات بينهم سهل الفتح للمسلمين

انكر (آريوس) ألوهية عيسى فكان بذلك طليعة لنبي المسلمين اذ فتح الطريق الى الاسلام لان الاسلام ما كان يقول عن المسيح الا انه آخر الرسل قبل محمد (صلى الله عليه وسلم) وبعد أن ظهر لم يبق أحد بطعن يذكر ضد مذهب التثليث بل جرى الناس عليه بالاجماع اثني عشر قرناً متتالية حتى صار عاماً ولم يعد الباحثون غير المتدينين يحجرون على نبذه من بين الديانات القائلة بالتوحيد لما يلزمه من تعدد ذات الاله ولذلك كان من خوارق العادات قيام أسقف الاسكندرية آريوس في وجه الدين المسيحى حتى ارتجت له أركان ذلك الدين واستولى اليأس على قلوب المسيحيين المخلصين وصار القديس (جيروم) يتنهد الصعداء قائلاً لقد اندهش الكون من صيرورة الناس كفاراً لا يعتقدون بتجسم الاب في الابن) ومع أن المسيحيين اتباع (نيس) تمكنوا من التغلب على هذا المذهب الجديد فقد نتج من هذا الخلاف انشقاق عظيم في كنائس افريقيا وآسيا وظهر الاسلام يخطو خطاه الواسعة فلم يرفيه اولئك المتنافسون ديناً جديداً

بل قبلوه مذهباً مسيحياً

ولا انتشار الاسلام ورضوح الامم لسلطانه سبب آخر في هاتين القارتين آسيا وافريقيا الشمالية هو استبداد القسطنطينية فانه كان قد بلغ منتهى العسف ووصل جور الحكام الى درجة ازهقت النفوس فلما جاء الاسلام تراموا اليه هر بامن الضرائب الفادحة واستلاب الاموال لانه كلما اسلمت عشيرة رفع عنها أثقال المغارم ورد اليها مالها المسلوب ومن لم يقبل شريعة القرآن عومل هذه المعاملة عينها بلا قيد غير اداء الجزية وكانت شيئاً يسيراً (العشر) أو جزءاً من اثني عشر وبذلك آمنوا في ظل الدين الجديد ولم يتعرض اليهم أحد من دعاة دينهم ولم يفرق بين أصلي في المسيحية ومنشق عنها وهذه المعاملة هي التي جاء بها القرآن وجرى عليها الخلفاء الأولون فكان اليهود والمسيحيون يسمون ذميين وهم ثلاثة ذميون ومستأمنون ومحاربون فالاول منهم من سكن بلاد المسلمين ودان لسلطة الحاكم الاسلامي وأدى الجزية اليه يعبد الله على دينه ولا يكره على الاسلام ويخضع لقوانين النظام والامن العام ويرجع الى دينه في الاحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث الا اذا اشترك معه مسلم فالدين الاسلامي ومن الخطأ الفاحش استعمال لفظة الذمي في معنى الخسة والجبانة لأن معناها الحقيقي (المؤمن بتشديد الميم الثانية وفتحها)

والمستؤمن هو الغريب العابر السبيل وهو يعيش تحت حماية المعاهدات والقوانين الدولية العامة (وأما المحارب) فهو من كان في بلاد تجاهر بالعداوة للاسلام أو لم تتعاقد مع المسلمين على مما يضمن لاهلها الامان في ديارهم فان

ووجد في بلد مسلم وشهر السلاح في وجهها خير بين الاسلام أو الاعداد
 وما عدا ذلك فهو آمن ان أدى الجزية قال على رضى الله عنه (ما كانت
 الجزية الا ليتساوى دم الذمى بدم المسلم وماله بماله) وكان من وراء هذه
 المسألة ولين المعاملة تقدم الاسلام حثيثاً وسهولة استعلاء فاتحيه لما سبقه
 من ظلم أكاسرة المملكة الشرقية التي بغضها الناس وسئوا الحياة منها
 هذا واذا انتقلنا من الفتح الاول للاسلام الى استقرار حكومته
 استقراراً منظماً رأيناه أكثر محاسنة وأنعم مهادنة بين مسيحي الشرق على
 الاطلاق فما عارض العرب أبدا شعائر الدين المسيحي بل بقنت رومة نفسها
 حرة في المراسلات مع الاساقفة الذين ما زالوا يرعون الأمة الخالية وفي سنة
 ١٠٥٣ ميلادية كتب الباباليون التاسع الى مسيحي أفريقيا يوصيهم باعتبار
 أسقف (قرطاجنة) مطراناً عاماً بينهم وكان الوثام مستحكما بين المسلمين
 والمسيحيين حتى ان (غريغوريوس) السابع كتب الى المسيحيين يلوهم
 على المحاكمة مع أسقفهم أمام المسلمين وكان ذلك في ٥ سبتمبر سنة ١٠٧٣
 ومع هذه المسألة العظيمة من جانب المنتصر الى المغلوب ضعفت الديانة
 النصرانية جداً ثم زالت بالمرّة من شمال افريقيا . على ان الاسلام لم يكن
 له عمال مخصوصون يقومون بالدعوة اليه وتعليم مبادئه كما في الديانة المسيحية
 ولو أنه كان له أناس قوامون لسهل علينا اشكال معرفة السبب في تقدمه
 القريب فانا شاهدنا الملك شارلمان يستصحب معه على الدوام في حروبه
 ركباً من القسس والرهبان لياشروا بفتح الضمائر والقلوب بعد ان يكون هو
 قد باشر فتح المدائن والأقاليم بجيوشه التي كان يصلي بها الامم حرباً تجعل

الولدان شيباً ولكننا لا نعلم للاسلام (مجمعاً دينياً) دولا رسلا وأخبارا وراء
الجيوش ولا رهينة بعد الفتح فلم يكره احد عليه بالسيف ولا باللسان بل دخل
القلوب عن شوق واختيار وكان نتيجة ما أودع في القرآن من مواهب التأثير
والام خذ بالالباب نعم قد اعتنق الاسلام قوما مشوا وراء منافعهم ولكنهم
قليلون بجانب من أسلم عن اعتقاد صادق وميل صحيح وكان ذلك من أسهل
الامور لبساطة الدين وكفاية النطق بكلمة التوحيد ليصير قائمها من
المسلمين . ومع ذلك فلم نر بعد استقرار الحكومة الاسلامية على محور
النظام عشائر من المسيحيين تركوا دينهم جملة واحدة بل انه صار من اللازم
ان يثبت الاسلام لمن اراده على يد القاضي ويحرم بذلك محضر يذكر فيه
ان المسيحي اعتنق الاسلام عن اعتقاد تام غير خائف ولا متنكره اذ لا يجوز
ان يكره أحد على تغيير دينه (راجع المحضر المذكور في الملاحق الثالث^(١))
وقد كثر دخول المسيحيين في الدين الاسلامي أيام حكم الأمويين
حتى ان الخلفاء لم ينظروا اليه بعين الرضا لما كان ينشأ عنه من الضرر ببیت
المال فقد نزلت ضرائب مصر مدة خلافة معاوية الى النصف عما
كانت عليه في خلافة عثمان بسبب دخول عدد عديد من
الاقباط في الاسلام ومن أجل ذلك ضيق الخلفاء باب الدخول في الدين
الجديد فلم يعفو الراغبين فيه من آداء الجزية يدلنا عليه ما كتبه حيان الى
عمر الثاني وهو عمر بن عبد العزيز اتقى الخلفاء الأمويين حيث قال له في
(١) هذا ليس بواجب شرطا ولعل المؤلف أخذ ما يقول من سريان العادة به
في هذه الازمان

خطابه (اذ دام الحال في مصر على ما هو فيه الان اصبح مسيحيو هذه البلاد كلهم مسلمين وخسرت الخلافة حينئذ ما تجبیه منهم من الاموال) فلما قرأ الخليفة هذا الكتاب انفذ لساعته الى حيان رسولا وقال له (اذا لقيت حيانا فاضربه ثلاثين سوطاً على أم رأسه عقاباً له على كتابه وقل له ان يرفع الجزية عن كل رجل يعتنق الاسلام فاني ارى سعادتي في ان يصبح المسيحيون اجمعون من المسلمين لان الله ارسل نبيه ليبلغ رسالته لا ليجمع الضرائب والاموال) وليس في خوف المسلمين على نفاد النقود من بيت المال ما يوجب استغرابنا لان الضرائب في الجزائر تصيب مسلميها فهي اكثر جـداً من التي تطلب من المسيحيين فلو تنصر مسلمو الجزائر ومنحوا جميع الامتيازات المخولة للمسيحيين لاصبحنا في حيرة شديدة من قلة المال

ولقد زادت محاسنة المسلمين للمسيحيين في بلاد الاندلس حتى صاروا في حالة اهدأ من التي كانوا عليها أيام خضوعهم لحكم قدماء الچرمانين الذين يقال لهم (فزيجو) ويقول (دوزي) ان هذا الفتح لم يكن مضراً بالاندلس وما حصل من الاضطراب والهرج بعده لم يلبث ان زال باستقرار الحكومة المطلقة الاسلامية في تلك البلاد وقد ابقى المسلمون سكانها على دينهم وشرعهم وقضايتهم وقلدوهم بعض الوظائف حتى كان منهم موظفون في خدمة الخلفاء وكثير منهم تولى قيادة الجيوش . مثل (سيد) وتولد عن هذه السياسة الرحيمة انخياز عقلاء الامة الاندلسية الى المسلمين وحصل بينهم زواج كثير وكـم من اندلسي بقى على دينه

ولكن اعجبت به طلاوة التمدن العربي فتعلم اللغة وآدابها وصار القسس يلمونهم على ترك ألحان الكنيسة والتعلق بأشعار الظافرين وكانت حرية الأديان بالغة منبتهاها . لذلك لما اضطهدت أوروبا الروسويين لجأوا إلى خلفاء الأندلس في (قرطبة) لكن لما دخل الملك (كارلوس) في سرقسطه أمر جنوده بهدم جميع معابد اليهود ومساجد المسلمين ونحن نعلم أن المسيحيين أيام الحروب الصليبية ما دخلوا بلاداً إلا وأعملوا السيف في يهودها ومسلميها وذلك يؤيد أن اليهود انما وجدوا مجيراً وملجأ في الاسلام فان كانت لهم بانيه حتى الآن فالفضل فيها راجع لمحاسنة المسلمين ولين جانبهم لا إلى ما يوجد بين الاثنين من الجامعة في الأصل والجنس واللغة والدين كما ادعاه (افيديكور شايكين)

ولم يطلب المسلمون من مسيحيي الأندلس إلا ما فرصوه على غيرهم وهو الجزية ويحسن بي ان اذكر هنا نادرة رواها أحد مؤرخي العرب لكونها تدلنا على آرائهم في الجزية وما كان بين المسلمين والنصارى من العلائق والروابط (كان لفقيه من فقهاء قرطبة جار مسيحي يسلم عليه كلما لاقاه في طريقه بقوله اطلال الله عمرك فسمعه ذات يوم بعض المتشددین في التمسك بالقرآن ولا موه على دعائه لجاره النصراني بمثل هذا الدعاء فلم يحفل الفقيه بعلامهم واجابهم بسكينة اني بقولي الى نصراني اطلال الله بقاءك اريد أن يفسح له في الاجل ليؤدي الجزية زمناً طويلاً والظاهر ان الفقيه كان مصافياً للمسيحي وانه اراد التخلص من عتب اللاتنيين فاسكتهم بهذا الجواب . وقصص العرب والاندلسيين محشوة بمثل هذه النادرة مما

بدل على حصول المودة الآكيدة بين الفريقين . فما هو مبالغ فيه اذن
 نعظيم الضغينة التي كانت بين الأمتين أما رأينا الخلفاء أنفسهم في الشام
 والأندلس يتخذون لهم نصحاء من المسيحيين ويرفعونهم الى أعلى الدرجات
 وكان المسلمون يشكون من ذلك علنا ويرددون هذه الحكمة البديهة التي
 نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
 والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم ان الله
 لا يهدي القوم الظالمين)

وذهب العلماء الى تحريم مصافاة المسيحيين (١) وقالوا بعدم جواز
 ولايتهم في المناصب الا ان أوامر الدين لا تقوى على الضرورة فتولى
 المسيحيين مناصب في الاسلام كان ضربة لازب عقب الفتح لعدم تعود
 العرب على سياسة الامم فكانت ادارة ممالكهم من أصعب الامور لديهم
 ووجب لذلك استخدام المسيحيين الا أن أولئك الموظفين كانوا يشوهون
 بوجودهم في المناصب وحدة الاسلام وقد سماهم المحدثون من العرب (قذرى
 حقيقياً في أعين الاسلام) وكان بغض المسلمين اليهم مسبباً في الغالب من
 جورهم في الاحكام لا من مخالفتهم في الدين

وليس من غرضي ان آتى على تاريخ المسيحيين في الممالك الاسلامية
 أيام القرون الوسطى ولكن من البديهي انه لا بد من أن يكون حصل بين
 الفريقين تعدد واعتساف كما يحصل المد والجزر في البحر الا ان رأى المؤرخ

(١) الآية لا تدل الا على منع الولاية وليس في الشريعة ما يحرم المصافاة كما سبق

لا يأتيه من جمع الحوادث مجردة عن ظروفها بل من نظره في أسباب تلك الحوادث والوقوف على كيفية ظهورها وأنا قد قرأت التاريخ وكان رأيي بعد ذلك ان معاملة المسلمين للمسيحيين تدل على رفع في المعاشرة عن الغلظة وعلى حسن مسايرة ولطف مجاملة وهو احساس لم يشاهد في غير المسلمين اذ ذاك خصوصاً وان الشفقة والحنان كانا عنوان الضعف عند الاوروبيين وهذه حقيقة لا أرى وجهاً للطعن فيها على وجه العموم . على انه لا يسعني ان أترك ذكر حادث عظيم الشأن ذلك ان الكنيسة الاندلسية تخيلت سنة ٨٥١ انها على شفا جرف الاضطهاد من المسلمين فينما عامة المسيحيين في قرطبة يقيمون شعائر دينهم مطهئين ولا يشكون من حكومة العرب كان القليل منهم يتميز من الغيظ ضدهم بما هيجه القسس والرهبان في صدورهم من الغل وما ملأوا به ضمائرهم من الحقد والبغضاء وقد امتاز من بينهم (اي لوغوا) وكان قساً في قرطبة في عنفوان شبابه حتى أنه احتاج في كسر ثورة نفسه الى قهرها بالصوم والسهر ووهب نفسه للموت حباً في المسيح فأنساه هذا الميل كل شهوة دنيوية وكان يجتمع دائماً بمبغضى الاسلام ويخطب فيهم حتى أهاج ضمائرهم لقوة بيانه وهما واجمياً يطلبون الموت فداء لدينهم الاندلسي حاد التخيل سهل الاعتقاد بالالوهام وبينما القاضي في مجلسه بمدينة قرطبة اذ دخل عليه راهب يقال اسحاق وكان كاتباً لاحد أمراء العرب وعلى وجهه سمات التهييج الذهني وعينه حائرتان فلما صار بين يديه قال حضرت لأعتق الاسلام فأمره القاضي ان ينطق بالشهادتين فاندفع يسب النبي والدين سباً شنيعاً فظنه القاضى سكران أو مختل الشعور وتردد

فى الحكم باعدامه الا ان اسحق لم يرجع من اول مرة بل استمر على
 شتائه حتى اضطر القاضى أن يحكم عليه بالموت على ما به من الحلم طوعا
 لاشارة الشرع اذ يقضى بالاعدام على من يسب الرسول وأعدم اسحق فى
 ٥ يونيه سنة ٨٥١ وهو يعترف بالمسيح ويسب محمداً ومن ذلك الحين انفتح الباب
 أمام كل شخص يظن نفسه معذبا وأراد كل واحد أن يذهب الى المحكمة ليسب
 محمداً ويموت فتقاطروا اليها أفواجا أفواجا حتى تمب الحجاب من ردهم وكان
 القاضى يصم الاذن كى لا يحكم عليهم بالاعدام وعقلاء المسلمون مشفقون
 على هؤلاء المساكين آسفون على ان دينهم يأمرهم باعدامهم ويظنونهم من
 المجانين وقد بلغ عدد الذين حكم عليهم بالقتل احد عشر فى شهرين واتخذ
 (ايلوغو) ذلك دليلا على انتصاره لانه هو الذى أوجد خيال الاضطهاد
 فى الاذهان واستحق بذلك ان يخذ ذكره فى الكنائس ومع هذا كان
 عقلاء المسيحيين يرون أولئك المتعصبين قوما أرادوا الانتحار ويجهلون
 بالتنديد على أعمالهم وكان (ايلوغو) وصاحبه (القارو) يرميانهم بالخيانة لعدم
 اقدامهم على سب النبي ودينه ثم عظم الهياج فى كنائس الاندلس واستولى
 القلق على حاشية الخليفة فامر الامير عبد الرحمن الثانى بجمع رؤساء القسس
 وطلب منهم الفتوى فيما هو حاصل من المسيحيين فلم يتعرضوا للماضى وقالوا
 بالمنع فى المستقبل وتقرر ان لا يحضر مسيحي أمام القاضى الا اذا دعى اليه
 فانقادوا آسفين ولكن ثورة الخواطر استمرت فى الكنائس الى سنة ٨٥٩
 وانتهى هذا الدور الذى سماه (ايلوغو) زمن الاضطهاد فى قرطبة وتبعه
 فى ذلك غيره من المؤرخين ومن تخلى عن الاغراض لا يرى فى ذلك الا أن

قوما خاطروا بانفسهم قذهبت ضحية الاوهام ولكنه لم يحصل من المسلمين
 اضطهاد مطلقاً. ودليلنا على ذلك كتاب (ايلوغو) نفسه وكتب من جاء
 من بعده فانها كلها تنطق بان المسلمين لم يبدأوا بالشر بل ثورة المسيحيين
 وتعددهم هما اللذان كانا السبب فيما أصابهم ومن أراد ان يطالع تلك الكتب
 فجزاؤه من قراءتها ان يقف على حكاية احدى العذارى التي كانت تسمى (فلورا)،
 ولدت فلورا من زوجين مختلفين ديناً وجنساً وتتمت صغيرة فربتها
 أمها على الدين المسيحي وكان لها أخ شديد الاسلام فشكاها الى القاضي.
 وعزرت تعزيراً شديداً بالسياسات حتي تقطعت بشرة رأسها من الخلف
 وكانت ذات حسن وجمال باهرين كما أن أبويها كانا من جنسين عظيمين
 واتفق أن جراحها زادت في حسنهما واهتم بها اشياع (ايلوغو) وصاروا
 يذهبون لمشاهدتها في المحكمة ويعجبون بشجاعتهافي تمسكها بدينها وقد
 ذهب « ايلوغو » نفسه لزيارتها فكشفت له عن جراح رأسها وشاهدها
 بغير تلك الشعور التي كانت تزينها فتأثر التقى الصالح (ايلوغو) لمرآها واشتغل
 قلبه بحبها غير أنه حب طاهر كما كانت البنت بكراً ثم وضع يده على الجروح
 وود لو تمكن من شفائها بين شفتيه ولكنه لم يتمكن فانصرف عنها مكتئباً
 فكوراً وكانت فلورا تعيش في عزلة عن نظر المسلمين ولا تخرج عن مخبئها
 الا الى الكنيسة وهناك تعرفت باحدى العذارى واسمها مريم وكان
 لها أخ حكم عليه بالموت وهي تريد ان تفعل كما فعل وكانت هذه المعرفة
 سبباً في ان كل واحدة منهما اهابت ضمير أختها حتى وصلتا الى
 درجة أجبنا فيها الموت فذهبتا مسرورتين الى المحكمة لتشتما محمداً أمام

القاضي الا أن القاضي أشفق عليهما لشبابهما وجمالهما واجل اعدامهما
ثم أمر لهما بالسجن . ولما كان الثبات من أصعب الفضائل احتمالا سيما على
الطباع الشديدة التأثر ومضى على البنيتين أشهر طوال وهما في السجن تهددان
بالفحش والفجور ضعفت منهما العزائم بعد أن طلبتا الموت بقلب ثابت
ولكن (ايلوغر) ما كان لينسى تلك التي القت في قلبه شعوراً يقرب من
العشق والهيام يوم ان كشفت له عن رأسها واتفق انه سجن أيضاً لمخالفته
ما قرره القسس لدى الخليفة فسهل عليه أن يراها وكان لذلك أثر شديد في
قلبه لكن الدين كان له جماح شديداً وأخذ يشجع البنت على الثبات والتعلق
باهذاب المسيح حتى أعدها ثانية الى تحمل الآلام . الا ان قلبه مع ما هو
عليه من التأثر بالدين كان يشعر بامر دنيوى واحساس غريب ذلك أن
(ايلوغو) كان يحزن كثيرا لمفارقة فلورا ولكنه ضاعف في حرمان نفسه
بالصوم والجوع وأراد الله ان لا يطيل عليه هذا العذاب ونفذ الموت في
البنيتين يوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٥٣٠ وأطلق من بعدهما صراح (ايلوغو) فعين
قساً في (توليد) ومات مقضياً عليه في ١١ مارت سنة ١٥٥٩

ولم تنته هذه الثورة من اسبانيا الا في آخر القرن التاسع ومع ذلك
حصلت ثورة دينية تشابه ما تقدم بعد ثلاثة أجيال في (اشبيليا) ذلك ان
القديس (فرانسوى داسيز) كان أرسل بعض أخوة من اشباعه لنشر
الدين المسيحى في بلاد المغرب وكان أول عمل أتاه أولئك المرسلون ان دخلوا
جامعاً في اشبيليا والمسلمون يصلون وجعلوا ينشرون الانجيل ويعظون
الناس بالدين المسيحى فطردوا ولكنهم ذهبوا الى سراى الملك وجعلوا

يطعنون على القرآن فحكم عليهم بالسجن في منارة فاستملوها وصاروا
يدعون الناس الى عبادة الدين المسيحى فلم ير السلطان بداً من نفيهم فارسلهم
الى مراكش فلم يزدحم ذلك الا تشدداً فيما كانوا يفعلون ولم تنفع فيهم شفاعه
دون بيترو مع علو مكانته عند الامير المراكشى فقتلوا فى ١٦ ذى الحجة سنة ١٢٢٠
ولقد أطلنا القول فى مسالة المسلمين عند انتشار دينهم فى الغرب
لان الضد ثابت فى اذهان المسيحيين ولا يزال مستحكماً من نفوسهم الى
يومنا هذا ما اظهره المؤرخون ومن طافوا بلاد الشرق من مخالفته للواقع
قال ميشو فى تاريخ الحروب الصليبية لما استولى عمر على مدينة اورشليم لم
يفعل بالمسيحيين ضرراً مطلقاً ولكن لما استولى المسيحيون على تلك المدينة
قتلوا المسلمين ولم يشفقوا واحرقوا اليهود حرقاً وقال الخبر ميشون (مما يوسف
عليه جداً بالنسبة الى المسيحيين ان تأتيم المسالة وحسن المعاملة من المسلمين
مع ان المسالة هى أكبر الخيرات بين بعض الأمم وبعضها) وقد انتشر الاسلام
شرقى بلاد العرب فى جميع القارة الاسيوية بين القرن الثانى عشر والرابع عشر
ولم ينشأ عنه عسف ولا حروب حتى ان حكام المسلمين انفسهم احتراموا
مدينة (بناريس) لاعتبارها عند الهندين مدينة مقدسة مع ان اهلها كانوا
من البراهمة تقريباً . وبالجملة فان الاسلام ما دخل بلداً الا وصار ذا المقام
الاول بين الديانات المسيحية من غير ان يتعرض لمحوها

وعلى هذا يتحقق أن الدين الاسلامى لم ينتشر بالعنف والقوة بل
الاقرب للصواب ان يقال أن كثرة مسالة المسلمين ولين جانبهم كانا
سبباً فى سقوط الممالك العربية ولقد يعجب المؤرخون من سرعة انتشار

الاسلام حتى بلغ نهر (اللوار) في فرنسا ويتساءلون ما الذي كان يصير
اليه حال أوروبا اذا لم يقف (كارلوس مارتل) في وجه المسلمين في سهول
(يواتيه) ونحن نرى ان هذا السؤال موضوع وضعا مقلوباً والاولى ان
يقال ماذا كان يصير اليه حال أوروبا المسيحية لو كان المسلمون متعصبين
لأن انكسارهم في يواتيه ليس سبباً كبيراً يكفي لأن يعوق الاسلام عن
الانتشار كما أصاب في الاشارة اليه موسيو (مرسيه) وخسارة مرة في
الحرب لا تنتج عادة مثل هذه النتيجة الكبرى فعادة الحرب أن تكون
سجالاً وكم من كسرة شفعت بنصر عظيم وقد علل موسيو (مرسيه)
انسحاب العرب نهائياً من أوروبا بعد تلك الحرب بالثورة التي قامت بين
سكان المغرب لأنها منعت عن المسلمين المدد الذي كان يأتيهم من تلك
الاقطار وكانت العمدة في حروبهم على عساكرها وهو سبب قوى في
الواقع لكننا لا ننسى أن نضيف اليه تطرف المسلمين في المحاسنة فانه
سهل العصيان ومهد لبعض عائلات المغرب المستقلة طريق الخروج عن
الجامعة في بلاد الاندلس وبلاد المغرب وانتهى الامر مع تلك المحاسنة
الى انحلال عناصر المملكة العربية ومن المظنون ان المسلمين لو عاملوا
الاندلسيين مثل ما فعل المسيحيون بالامم الساكسونية و(الوانديه) لا خلدت
الى الاسلام واستقرت عليه لأنها مع تمتعها بحرية دينها المسيحي كانت كثيرة
الانشقاق والاحزاب

ومالنا ولهذه الظنون والتخمينات وأمامنا أمر واحد ينبغي الوقوف
عنده وهو ان ديانة القرآن تمكنت من قلوب جميع الامم اليهودية والمسيحية

والوثنية في افريقيا الشمالية وفي قسم عظيم من اسيا حتى انه وجد في بلاد
الاندلس من المسيحيين المتنورين من تركوا دينهم حباً في الاسلام كل
هذا بغير اكراه الا ما كان من لوازم الحروب وسيادة حكومة الفاتحين
ومن دون ان يكون الاسلام دعاة وقوام مخصوصون وهو مما يقنعنا بان
في الاسلام جاذبية وقوة انتشار سنبحث فيما بعد عن سببها الحقيقي لانه
لا يزال ينتشر حتى الآن . وقبل أن نبحث عن تلك الاسباب ننبه القارئ
الى ان لا يعد من جملة ما ذهب البعض اليه ان الدين الاسلامي ينتشر
لكونه ديناً مادياً أكثر مما هو دين أدبي فهو يبيح تعدد الزوجات ويبيش
أصحابه بالتنعم في اللذائذ الشهوية في جنات بالغ الوصف في نعوتها . وهذا
هو الذي اتخذته أعداء هذا الدين مطعناً عليه زمناً طويلاً كذلك سنأتي
بشيء في القضاء والقدر لان منهم من رآه سبباً مهماً لانتشار الاسلام
وعلة الشجاعة التي امتاز بها المسلم فجعلته لا يعبأ بالموت في مواقف الحروب



الفصل الثالث

﴿ تعدد الزوجات ﴾

تعدد الزوجات قبل الاسلام — تعدد الزوجات في

القرآن — الحشمة عند المسلمين

يرى الناس في أكثر الأزمان الوسطى ان أكبر عمل أتى به النبي هو اباحة تعدد الزوجات لانه توصل بذلك الى استجلاب الرجال وتطرف (بيرون) فقال والنساء لانه وعدم بتعدد الأزواج واعتمد القصاصون على هذه الروايات الكاذبة فوصفوا الاسلام بانه (دين الجاموس والجمال وجميع الحيوانات) وقال (رونان) في كتابه ابن رشد انه (دين الخنازير والقوم المنهكين في الشهوات) وتعدد الزوجات يجرح أخلاقنا المتمدنة وعوائدنا الدينية على الخصوص فلا نكاد نفقه في شريعة موسى وهي ايضاً شريعة الهية كدين المسيح . قال الاب بروغلي انها ديانة يصعب ادراك مرادها وان الله حلها في ظروف مخصوصة يستحيل علينا معرفتها وكأني به وبأمثاله يخشون على الدين المسيحي من مجاورة ديارتين منزلتين مثله وفيهما آداب تغاير ما جاء به ولعمري لست أرى وجهاً يمنعنا من أن نعتقد في الشارع الالهي من الحكمة ما نعتقد في الشارع الوضعي فشرائع البشر تحتاط في نصوصها وتلاحظ الزمان والمكان في تقرير أحكامها وليس من داع يلجئنا

الى أن يحرم على الشارع الالهى مثل هذا الاحتياط . وذلك هو رأى أحد عمد المتكلمين موسيو (دولست) حيث يقول ان أول شريعة أدبية أنزلها الله على الناس كانت موافقة لآحوالهم ملائمة لزمانهم وما كانوا عليه من درجة الآداب وفي آداب الساميين نقص يوجد مع أصل الخلقة لا يمكن جبره مدى الايام وهو كثرة شهوتهم وذلك عيب ادبى لا محالة الا انه برهان على قوة الجسم وسلامة الجنس فالذكر من الشرقيين أكثر قوة ونشاطاً من الغربى . ولذلك قال بعض المشتغلين بعلم طبائع الامم ان تعدد الزوجات امر من ضروريات الامم الشرقية لما فيهم من القوة العظيمة ومن الغرائب الالهية التى تحار فى ادراكها الافهام ان الغربى مع ميله الى اعتقاد تعدد الآلهة كان على الدوام يأبى الزواج بأكثر من امرأة واحدة والشرقى الذى لا يعبد غير إله واحد يقول بتعدد الزوجات . فالهة كثيرون وزوجة واحدة صيغة تليق عادة بالغربى والله واحد وزوجات متعددة صيغة تجمل بالشرقيين

تم انه ليصعب جداً على الغربيين ان يقدروا شريعة القرآن فى تعدد الزوجات حق قدرها لما بينهم وبين الشرقيين من الاختلاف الكلى فى الجنس والدين والتمدن ولذلك فمن الامور التى تهمل معرفتها ما اهمله الباحثون دائماً وهو ان تعدد الزوجات عادة قديمة فى العرب قبل الاسلام فكثرة النساء أقدم من وجود الجوامع ومن الخطأ المطلق قول الاب (بروغلى) ان كثرة النساء وجدت مع الاسلام اذ من المحقق ان قبائل العرب الذين أسلموا فى مبدأ الامر كانت على هذا المذهب كما عليه الآن الامم السوداء التى تميل بكلياتها فى هذه الايام الى الاسلام وكان هذا

المذهب في تلك القبائل والسود أوسع مما جاء به القرآن فهو لا يبيح أكثر من أربع بالكتاب ولذلك يقول اولئك القوم عن النبي . انه مصلح شديد المعاملة ولا شك في ان ميله أولاً كان الى الاقتصار على زوجة واحدة كما جرى على ذلك في اول حياته ولكن كان من الصعب أن يلزم بني قريش بذلك وقد كان من بينهم مثل الحارث وغيلان لكل عشر نساء اعتنقن الاسلام مع زوجهن فلو أمرهم بالاقتصار على زوجة واحدة لشق الامر جداً عليهم وصعب احتماله وربما أدى ذلك الى تزعزع عقيدتهم في الدين الجدد لهذا أمرهم (صلى الله عليه وسلم) ان اختاروا ما بين أزواجكم أربعاً تفضلونهن على البقية وطلقوا ما عداهن ولا يعجبني القارئ ان لم أذكر شيئاً عن تعدد زوجات النبي فقد ذكرت طرقاً منه في آخر الفصل الاول وسأعود اليه فيما بعد . ويؤخذ ميل الدين الاسلامي الى تفضيل زوجة واحدة من الآية الثالثة من السورة الرابعة التي تحدد عدد ما يباح من الزوجات (وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن لا تعولوا) ومعنى القسم الثاني من هذه الآية على ما وراء العلماء هو ان الرجل اذا خاف أن لا يكون عدلاً بين زوجاته وخشى تفضيل احداهن عليهن ولم يكن في حالة تسمح له أن يوفي كلا حقها وجب عليه أن لا يتزوج بأكثر من واحدة وذهب بعض العلماء الى ان المسلم ليس جراً في الحكم على قدرته وجواز تعدد زوجاته بل القاضي هو الذي ينظر في ذلك ويقضى بما يظهر له فان رأى عدم العدل في الطالب

حكم بالاعتصار على زوجة واحدة وأيدوا قولهم بالقصة الآتية كان الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور يحب زوجته حباً مفرطاً ولذلك لم تعدل نفسه إلى الزوج بغيرها معها ولكنه بعد سنين قضاهما في السعادة والهناء جنح إلى طلاوة الجديد وأراد أن يتخذ زوجة ثانية ورأت زوجته أنه سيكون لها ضرة وربما أساءت معاملتها فانكرت عليه ما ظهرت اباحتها في القرآن وقالت بأنه لا يجوز له أن يتزوج بأكثر من واحدة فاستدعى الخليفة أبا حنيفة وكان من الأئمة الاعلام (اعل المؤلف يريد غير الامام المجتهد أبا حنيفة وسأله كم من النساء أنجن للرجل في الزواج فأجاب من فوره أربع فالتفت الخليفة إلى زوجته وكانت تسمع من وراء حجاب وقال لها بصوت رفيع ها قد سمعت ما قال الامام فلما سمع أبو حنيفة ذلك منه استدرك وقال الا انه لا يجوز لأبي جعفر أن يتزوج بأكثر من واحدة فقال ولماذا قال الامام لانك لما التفت إلى زوجتك وكلتها رأيت من صوتك ما علمت منه أنك لن تعدل معها ولهذا أحكم الآن بأن تقتصر على معاشرتها. ولم أقف بعد ذلك ان كان الخليفة أطاع حكم الامام وحالة أبي جعفر هي حالة كل مسلم يميل إلى الاكثار من الزوجات اذ الواقع عدم المقدرة على العدل بينهما ولذلك فمن النادر أن تعرض هذه المسئلة على قضاة المسلمين ولكن ليس الحال كذلك بالنظر إلى ميسرة الزوج وقدرته أن ينفق على أكثر من زوجة واحدة فمن أسباب عدم الاكثار من الزوجات خوف الرجل من العجز عن القيام بالنفقة بدون توسط القاضي فتعدد الزوجات في الشرق معدود من التكاثر وهو عزيز النوال للفقراء ولا يتمتع به الا

الاغنياء حي كأن تعدد الزوجات في الشرق عند الاغنياء أمر توجب عليه
حيثياتهم بين الامة كما كان ذلك حاصلًا عند قدماء الجرمانين راجع الملحق
الخامس (ولما كان التفاوت في الدرجات أمرًا مقبولًا عند المسلمين مع كمال
الترضى وحسن الاعتقاد ترى الفقراء منهم يقفون عند نواهي القرآن في
تعدد الزوجات كما يحترمونها في غيرها ولا يحسدون الاغنياء على زوجاتهم
كما انهم لا يحسدونهم على بقية ما اختصهم الله به من الميزات وهم من
جهة ثانية يعلمون جيدًا ما يلحقون بذى الزوجات من المتاعب والاصاب
وان نعيم العيش الوسط لذي امرأة واحدة ومع ذلك قد أخطأ موسيو
(كاروز) حيث ذهب الى ان تعدد الزوجات يغتفر للاغنياء ويحرم على غيرهم
بل الذى يفهمه المسلمون في القرآن عند الزواج هو ما كان يقوله القديس
بولس (ما كل مباح ينبغي) والمسلمون لا يقدمون كثيرًا على استعمال
ما أباحه شرعهم الدينى من تعدد الزوجات خلافا لما يتوهمه غيرهم لانهم
يخشون ضيق العيش وفقدان الصحة فكثيرا ما تشكو النساء أزواجهن
على هجرهن ثم المنازعات في كل يوم مما يجعل البيت جحيمًا . وللكتاب من
العرب في هذا المعنى كلام يدل على عدم الميل لتعدد الزوجات كما نقلناه عن
بعضهم في غير هذا الكتاب حيث قال (أيها الراكب على فرسين احذر من
السقوط وكفاك من رب زوجتين وكفاك واحدة ان رمت السلامة) وقد
يلاحظ ان القانون الذى لا يسوى بين الغنى والفقر في الزواج يخالف عاداتنا في
هذه الايام ولكن من عرف طبائع المسلمين علم أن ذلك القانون لا يحدث
بينهم ما يظهر لنا من نتائجه لو كان عندنا فقراء المسلمين مترضين عن حالتهم

قائعين بما قسم الله لهم من العيش جرياً على حكم الضرورة عن طيب نفس خلافاً لما يتوهمه موسيو (دوبروجلي) وإنما القرآن يوصي المعدم بالانتظار فلا يتزوج غير قادر عليه (انظر الملحق السادس) ومع ذلك فالمعدم عن الزواج نادر والعامة يتزوجون في الثامنة عشر غالباً وأهل الشرق لا يعرفون العزوبة وهي المصيبة التي جلبها التمدن على الغربيين وكان محمد (صلى الله عليه وسلم) في محادثته مع صحابته يجب أن يسمعهم كثيراً قوله . لا رهبانية في الاسلام ثم قال لهم يوماً . نفس المتزوج أحب الى الله من صلاة ستين أعزب

ويرى القارئ مما تقدم ان الناس بالغوا كثيراً في مضار تعدد الزوجات عند المسلمين ان لم نقل ان ما نسبوه اليه من ذلك غير صحيح فما تعدد الزوجات هو الذي ولد في الشرق تلك الرذائل الفاضحة التي يشير اليها الاب . بروجلي . بل المعقول انه من شأنه تلطيفها على انني لست ادري أن كانت تلك الرذائل أكثر منها في الغرب بل تلك وصمة ألصقت بالاسلام بواسطة السواح الذين يرون امرأ في فرد فيجعلونه عامماً من غير تثبت فيه ولولا هذا التعميم السطحي لما وجدوا شيئاً يملأون به مؤلفاتهم والواقع أن الرذائل الفاضحة موجودة في كل امة ولقد يقع منها في باريس ولوندر وبرلين أكثر مما يحدث في الشرق بأجمعه لان النبي صلى الله عليه وسلم بالغ في تحريمها ولم يعدها من الذنوب الخفيفة كما فهم بعضهم من آية (واللذان يأتياها منكهم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان تواباً رحيماً) لان ذلك خروج بالآية عن معناها وشطط في تفسيرها وليست هذه الآية هي الوحيدة التي جاءت في القرآن بل كثير غيرها كما في سورة

الاعراف قال الله تعالى (ولوطاً اذ قال لقومه اتأتون القاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين . انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قومًا مسرفون . وما كان جواب قومه الا ان قال اخرجوهم من قريبتكم انهم اناس يتطهرون) . هذا والشرع الاسلامي سواء كان اخذاً عن القرآن أو السنة من اشد الشرائع صرامة في معاقبة هذا الفعل ففيه يقتل البالغان ان اتيا هذا الفعل معاً فان فسق بالغ بصبي يقتل الاول ويؤدب الثاني فان فعله صغيران جلد كل منهما مائة جلدة واما ما يتعوده المراهقون من الامر القبيح وكذلك فساد الاخلاق فما لا وجود له في الشرق الا بطريق الاستثناء لسهولة الزواج

ومن الخطأ الفاضح والغلو القادح قولهم ان عقد الزواج عند المسلمين عبارة عن عقد تباع فيه المرأة فتصير شيئاً مملوكاً لزوجها لان ذلك العقد يخول للمرأة حقوقاً أدبية وحقوقاً مادية من شأنها اعلاء منزلتها في الهيئة الاجتماعية فلها أن تشرط على زوجها عدم التزوج بغيرها وعدم التسرى وان لا يغيب اياماً كثيرة عن بيته بدون اذنها وان لا يؤذيها ولا يسبها وأن لا يكلفها باعمال البيت الشاقة وهكذا فان لم يف بهذه الشروط جاز للمرأة أن تطلب الطلاق فان لم ترده لنفسها جاز لها أن تطلب منه على يد القاضي أن يطلق ضررتها أو ان يعتنق الجارية كي يبطل حق التسرى بها (١) ولم يقتصر القرآن في التضييق على تعدد الزوجات على عددهن بل حرم ما كان معروفاً عند العرب قبلة من الزواج لزم من محدود وفي ذلك

وطهارة العادات عليهم البرانس وعلام الغزة والوقار تعلو جباههم ينظرون الى المسيحيات راأحات غاديات وهن عراة الصدور تحت ذراع من يتقدم لهن من الرجال وقلوبهم ملأى من الاحتقار ومن كان من بين أولئك الشيوخ غير متمسك تماماً بجميع العوائد القومية كانوا يتخيلون بانهم لا يشاهدون حالة اعتادها الافرنج لترويج النفس بل ينظرون الى مجتمع انطلقت فيه الشهوات ورفع فيه برقع الحياء عن الوجوه فاستباح كل واحد ما اراد كما يقع ذلك مرة في كل سنة عند الزوج أو بعض قبائل الهمج حيث يأتي الاسافل من الامة مثل تلك الفعال ولكنهم عد وقوع نظرهم بين الجمع على رؤساء المالح الذين هم أصحاب الامرة عليهم كنوا يرجعون من وهمهم ويعلمون ان ما يشاهدون من المناظر حقيقة اعتاد أولئك القوم عليها . هنالك يجول بخواطرهم تعاليم شرعهم ويعظم شأن القرآن في قلوبهم عند ما تقترن آدابه بالمشهد المخجل الذي هم فيه (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن أو بنى اخوانهن او بنى اخواتهن او نسائهن او ما مالاكت ايمانهن او التابعين غير اولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحماً (وقلمنا

تستبيح امرأة غير شابة ان تكون بلباس أقل من ذلك حشمة وكالا
(والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن
ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهنَّ والله سميع عليم) ولقد
اُطلنا الشرح فخرجنا عن الموضوع وشرحنا أخلاق المسلمين ذلك لاننا
نعتقد ان ما قدمناه برهان قاطع على أن تعدد الزوجات لم يتخذ ولم يكن ليتخذ
مشجعاً على انتشار ديانة الاسلام وبقى علينا أن ننظر ان كان النبي كان اتخذ لذائد
الجنات التي وعد بها الشهوات سالماً لاستمالة بني آدم وحملهم على اعتناق ديانته

الفصل الرابع

﴿جنات المسلمين﴾

الحياة الآخرة — السعادة الآخروية في مذهب المسيحيين —

الرمز والتفسير — السعادة الآخروية في مذهب المسلمين

ليس للحياة الآخرة من المكانة في بعض الديانات القائلة بخلود الارواح
ما لها في البعض الآخر فالديانة المسيحية تشير الى انها هي المقصد الاسمي
من الحياة الدنيا ولذلك يجب ان يعتقد المرء بان لذائد هذه الدار وزخارفها
خيال باطل وان يتجرد عن نفسه كي تطهر روحه فيتقدم رويداً رويداً في
الحياة العقلية لينال بها السعادة العظمى ومع تكرار هذه الحقائق ونشرها
بواسطة القاعين بامر هذا الدين لا يزال أغلب المسيحيين يراها تصورات

ذهنية كمالية بها تجتهد الكنيسة أن ترفع ما انحط من طبائعهم ومن هنا
 يشاهد المتأمل فرقاً عظيماً بين التعاليم والأعمال كما تتناقض الأقوال والأفعال
 كثيراً عند المسيحيين ويرى الكثير منهم في ضميره وإن لم يجاهر به أن في
 ديانته قسماً من التخيلات لا تسمو إليه مداركهم ولا يصبو إليه إلا من
 اختصه الله بالمواهب الصمدانية ومحسبون أنهم أدوا واجباتهم باصغائهم
 إلى تلك الحكم البالغة واعتقادهم أنها من ديانته وإنهم يرجعون إليها عند
 الحاجة لبيان مقامها الرفيع ومكانتها العليا كذا هم يعملون في قاعدة (إنما
 الحياة الدنيا طريق الآخرة) على أن سعادة الأصفياء سر من الأسرار التي
 تخفى على المسيحيين وهو غريب لأن سعادة الآخرة هي المرجع الذي كان
 يجب أن ترمى إليه أعمالنا كلها ولكن مع الأسف نرى العقول لا تكاد
 تدرك من هذا المقصد الاسمى شيئاً ومما يزيد الأمر تعقيداً واشكالاً
 مذهب بعثة الأجسام على الكيفية التي يذهبون إليها فإنهم يقولون إن الأجسام
 تتحول يوم الحشر من أجسام مادية إلى أجسام روحية . قال القديس
 بولس خلق الجسد من مادة تزول وسيبعت على كيفية لا تقبل الانحلال
 لأنه خلق جسداً حيوانياً وسيبعت جسداً روحياً وماذا يترى تكون حقيقة
 تلك الأجساد الروحية التي لا تزال أجساماً فلها حواس وهي أرواح فتتمكن
 من مشاهدة ربها . فهل السعادة التي يعدنا بها القسس والرهبان هي تصور
 تلك السعادة أم هي سعادة حقيقية تقوم بغير التصور والتخيلات تلك
 مسائل ليس في الإنجيل ولا التوراة نص صريح يفسرها وإن اجتهد
 الكنائسيون في إيضاح طرف منها واهمهم في البحث هو القديس

(اوغستان) فانه كان شديد الوله بمعرفة تلك السعادة وغاية ما وصل اليه انه لم يبلغ حد اليأس في تفسير هذا السر الممكنون بمعونة الله وقدرته وجميع كتبه دالة على شدة اشتغاله بتلك الحياة الادبية السعيدة التي يتصورها الاولياء فيشاهدون ربهم بتخيلها قبل البعث وبعده وعلى كل حال فلا تزال تلك السعادة سرّاً مختوماً لا يعرفه الناس ولا يدركه الا الاولياء

ومن هنا وقعت الديانة المسيحية بين مذهبين متناقضين فمن قائل بان السعادة الاخرية انما هي حالة نفسية مرجعها طهارة القلب والمشابهة بين المخلوق والخالق ومنهم من يقول بل هي غير ذلك أمر مادي محسوس والف (سيرانتي) كتاباً كله بدع غامض المعنى مبهم المراد جاء فيه ان السعادة الاخرية عبارة عن اعراس تتعاقب اثر بعضها وقال المجدوب (شريدنبورج) رئيس مذهب كنيسة أورشليم الجديد في القرن الماضي ان لجميع اللذائذ الدنيوية نظائر في الآخرة ويظن بذلك انه توصل الى حل الاشكال وأعرب عن مصير الناس ولكن جاء كتابه بمباراة مستهجنة سخيفة فلم ينل من قرائه التفاتاً حتى بصفته اعجوبة أو خرافاء

وأما الاسلام فلم ينظر الى الآخرة نظر الدين المسيحي ونرى المسلمين ينتظرون ما وعدهم به النبي من النعم والسعادة وقلوبهم مطمئنة ولم يضحوا الدنيا للآخرة أما نعيم الآخرة فالتكلمون من أهل السنه يقولون بانه حالة تقوم بالنفس فتجعلها من السعداء وأما مشاهد الذات العلية فان النبي ضرب لها امثالا حسنة قريبة المنال من مدارك الشرقيين ولولا ذلك لما عقلوها البعد طبائعهم عن ادراك الامور المعنوية المحضة اذ الغريون أنفسهم لم يدركوا

ذلك الامر المعنوى غير ان رسولهم قد كلفهم أمراً جللاً اذ حرم عليهم ان يفكروا في تشبيه الخالق بالخلق وحرم عليهم تصوير المخلوقات الحية ولو لا ذلك للزمه أن يطلب من عقولهم ما لا قبل لهم به فيكلفهم بادراك اللذائذ الذهنية المحضة أو انه يرجع بهم الى مذهب تجسم الاله وما يتبعه من الاوهام فيتصور لهم ربهم بصورة انسان جالس من حوله الاولياء والاصفياء ولكن صناعة الرمز والاشارة سهلت له الاستعلاء على هذه المشكلات (ان الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به الا الفاسقين) ولورجعنا الى القرآن لنتلو الآيات التي نزلت في بيان سعادة الاخيار في تلك الدار لو وجدناها في أول الامر تصف جنات عاليات قطوفها دانية كأنها الحدائق الغناء والبساتين الفيحاء التي توجد في هذه الحياة الدنيا وعامنا بان تلك الاوصاف كانت من اكبر المؤثرات في نفوس العرب المنزلة عليهم . وفي الواقع أنه ليلذ الى البدوى الذى تعود ارضاً قحلاء وماء آسناً ربما لا يجده أيضاً طول يومه أن يتصور بان سعادته النهائية هي الراحة في جنة خضراء ودوحة فيحاء تسفى بماء كثرى وفيها من كل فاكهة لذة للاكلين ولن يذوق لمثل هذا الوصف معنى الا من عاش في البادية وكابد الحياة في الصحراء وهذا هو السبب في ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتي بمثل ذلك حيناً بعد حين وهو تكرر ربما تعبت منه عقول الغربيين لمدم تعودها عليه ولكنه كان يفعل كثيراً في نفوس سامعيه من أمة العرب اذ هو في الواقع

أسلوب في الخطاب له منزلة رفيعة عندهم ولا يزال يثير عواطفهم ويثير
نفسهم على بساطتها وسهولة موردها كما شاهدت ذلك بنفسى ولقد اذا أتحيل
النبي واقفاً تحت شمس البادية حيث لا ظل يقي من حرها ويخطب في القوم
موصفاً ظلال الجنة الوارفة التي وعد الله بها المتقين وأشاهد الجمع هائماً من
حواله مأخوذاً بحلاوة الخطاب الذي يلقيه بصوت يزداد وقماً في القلوب
(ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان فبأى
آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من
كل فاكهة زوجان فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من
استبرق وجنى الجنتين دان فبأى آلاء ربكما تكذبان) وكان كلما قال آية زاد
وجد السامعين بما تزيده في وصف الجنة من الطلاوة والتمكين . ولقد جرى
الشرقيون على عدم التفريق بين جنة الاخيار وجنة الدنيا لذلك أعجبهم ذلك
الوصف فاخذ بمجامع لبهم لمطابقته اذواقهم واشتغل بها عقولهم وان لم يرد
النبي غير وصف السعادة الباقية في الواقع ونفس الامر وعلى هذا النمط جاء وصف
الذائد السماوية وهو أيضاً مأخوذ مما كانت العرب تميل اليه في هذه الدار
(وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون) وزوجناهم بحور عين
(فيهن خيرات حسان فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام
فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثنهن انس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما
تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فبأى آلاء ربكما تكذبان)
(فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة
والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلثة من الاولين وقليل
من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان
مخلدون باكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون
وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون
جزاء بما كانوا يعملون) انا أنشأناهن انشاء فعملناهن أبقاراً ع. ما اتانا

(لاصحاب اليمين) (ان للمتقين مفازا حدائق وأعاباً وكواعب اتراباً) تلك
 اشارات واستعارات ليس الامر المادى فيها الا رمزا للعشق الروحاني وهو
 ضرب من ضروب الكتابة والقول معهود عند الامم الشرقية وفي الزبور
 شئ كثير من ذلك وكأن الكتب المقدسة استعارت الحب الانساني وقوة
 تأثيره في النفوس لتشبه به للناس نعيم الآخرة وهو أمر طبيعي لان اجتماع
 النوعين الذكر والانثى يشخص في نفوسنا نحن الغربيين صورة السعادة الابدية
 فالذوق الغربي لا ينفر من هذه التشابيه والاستعارات على شرط أن لا يتوسع
 فيها الى التصريح المطلق ولكن ذوق الشرق لا يطلب هذه القيود وينبغي له
 أن يكون التشبيه تاماً فلا يغفل أحد لوازمه ولا ييهم طرف من متمماته وهذه
 يتوصل بها الى تمكين العقول المادية من تصور الادبيات المحضة وكان هذا
 الاسلوب مقبولا جدا في القرون الوسطى فقد احتوت قصة الورد لمؤلفها
 (غليوم لوريس) على أربعة آلاف بيت كلها صور واستعارات وتشابيه وقد
 ذهب بعض الباحثين الاتقياء الى ان تلك الوردة التي ولع المؤلف بحبها هي
 الذات الالهية لا ذات المرأة المحبوبة . ومع كون الكتاب صريح في الاشارة
 الى الماديات فقد عدوه سفرا دينياً وليس هنا موضع البحث في صحة هذا
 التفسير لقصة الوردة وانما غايتنا أن نستخلص مما تقدم عدم المانع في اعتبار
 مؤلفات الشرقيين قابلة لتفسير أدبي وان دل ظاهرها على ان المقصود منها
 أمور مادية فالعبرانيون والعرب من بعدهم استتروا بستار اللذائذ المادية
 والنعم البدني وهم انما قصدوا الادبيات والسعادة الروحانية وفي عملهم هذا
 تعاكس في الالفاظ واشارات للمراد أو مفارقات وموافقات تلذ لها عقولهم
 ولهذا لا يسعني ان أرى في نشيد بعضهم (لعلها تقبلني بفمها) اشارة الى
 واقعة مع امرأة كذلك ألفاظ العشق وعبارات الوجد والهيام المنثورة في
 المزامير لا تنقص من قيمة هذا الكتاب المقدس وكونه كتاباً رمزياً نعم ان
 تتمرب بعض العباد المخلصين من الله كان أمراً بعيداً عن عقول العبرانيين الاولين

العرب الاولين الشرقيين على العموم ولكن ليس المراد هنا معرفة الوصلة والزلفى لدى الله لان ذلك يستلزم معرفة حقيقة تلك الاناشيد وهذه التشابيه وانما الغرض بيان أنها رمز لا حقيقة وقد اعترف مؤرخ اللغات الشرقية وهو موسيو (رونان) بصحة قولنا وبان عقول العرب والعبرانيين مطبوعة على استعمال التشابيه والاستعارات والاكثر من المجاريات في الالفاظ

ومتى سلمنا بان المقصود من المزامير شئ آخر غير ما يعطيه ظاهر لفظها فلا يجوز حينئذ تفسيرها تفسيراً لفظياً لزمنا أن ننحو هذا النحو بعينه في فهم الآيات القرآنية التي جاءتنا بوصف الجنان نعم يصعب علينا أن نرى خلف هذه الصور المادية الصرفة مرامي أدبية الا أن هذه الصعوبة آتية من مخالفة هذا الاستعمال لما تعودناه في أقوالنا وكتبنا ومن السهل جداً أن يرى الواحد خلفاً بينه وبين آخر من غير أمته في طرق التفاهم والحديث فالذى يجب أن يشار اليه بلطف ورقة عندنا يبرزه الشرق في صورة حقيقة فلا يدعون لعقولنا محلاً لا بصاره من خلال ألقاظهم

ولقد يتعذر علينا أن نعرف أى المعنيين ينطبع في قلب المؤمن عند تلاوة القرآن معناه اللفظي أو معناه الحقيقي ويحتمل أن ذوى القول الضعيفة منهم لا يفقهون غير ما يدل عليه اللفظ بظاهره وأما الآخرون فيرون فيه معنى يميل بهم الى مرامي سامية يذوقون فيها حلاوة الزلفى بين العبد وخالقه والكثير منهم يسمعون القرآن فلا يعتقدون بظواهر كلماته ويشعرون بانه يرمى الى سعادة مخصوصة يتصورونها على كيفية غير واضحة لهم تماماً على ان في القرآن نفسه في آيات كثيرة جاءت في السعادة الاخرية خالية من التشبيه والاستعارات . فلا يقول بان المسامين لا يعرفون سعادة ولا نعيماً مما وعدهم به القرآن غير ما كان مادياً شهوياً الا من غفل عن تلك الآيات ومال الى تغيير أصل الكتاب وقلب الحقائق التي ثبتت فيه (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومسكن طيبة في جنات عدن

ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم)

وقد قال المفسرون في رضوان الله ان الله يتجلى على عباده المصطفين فتكمل سعادتهم ويتم بذلك نعيمهم وجاء (دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحييتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين) (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار) (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب)

على أن الكتاب نفسه لم يترك مجالا لمعارض فهمي عن تفسير آياته تفسيراً لفظياً أو تجسيم التشبيه بما لا يحتمله المقام فقال في سورة آل عمران (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوالباب) وان منهم لفرقا يقولون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون)

وقد اتفق المتكلمون من المسلمين الذين اشتغلوا بتفسير القرآن خصوصاً أهل السنة الذين يرجعون فى تفسيرهم الى الاحاديث النبوية والاقوال المأثورة عن السلف ويلاحظون أسباب النزول على أن السعادة الاخرية انما هى أمر ذهني يقوم بالنفس فتصير منعمة مطمئنة وهذا النعيم هو اكبر النعم فلا نعيم بعده قال الشيخ العالم (رب ان الجنة لا ترجى الا لرؤياك فيها ولولا نور ذاتك البهية لعفناها) وانى أختم هذا الفصل بدعاء مأثور عن الشيخ القشيري ولعله لا يذرى ببعض كتب الدماء المسيحية (إلهى انك تهددني بفراق يحرمني على الدوام من تجلياتك البهية فيأرب اصنع بي ما تشاء ولا تحممني من

مشاهدتك العلية فليس سم أمر مذاقاً وأشد قتلاً من ألم هذا الافتراق وما
 حيلة النفس بغير ربها إلا أن تعيش في فزع وتبقي في حيرة واضطراب رب ان
 النفس لترضى بان تذوق الموت مائة الف مرة ولا تذوق حرقه فرقتك مرة
 واحدة رب ان مصائب الدهر وجميع الامراض القتالة لو اجتمعت على
 لاحتملتها غير متوجع من وقعها ولكن لا طاقة لى على احتمال بعدك عنى
 رب لو احتجبت عنا برهة اقحلت أرضنا وغازت أنهارنا فماذا يكون حالنا
 لو دام هذا الاحتجاب لولاه لما احرقت نار الجحيم واشتد لهيها رب ان فى
 تجليك حياتنا وكال سعدنا ونعيمنا وفى احتجابك عذابنا وجحيمنا)

الفصل الخامس

﴿ القضاء والقدر ﴾

متشابهات القرآن ومذهب الناسخ والمنسوخ — الاختيار والقضاء

والقدر فى القرآن والحديث — مذهب (توماس)

ومذهب (مولينا) — الجبرية والقدرية

يثبت الناس كل مبحث بالقرآن اذ من السهل جداً ان يجد فيه الباحثون
 سنداً لدعاويهم المتناقضة والقرآن فى هذا لا يختلف عن غيره من الكتب
 المقدسة التى تستوقف المطالع بظواهر متشابهاتها والقرآن على مذهب أهل
 السنة قديم مرقوم من الازل فى اللوح المحفوظ ونزل به الملك جبريل (عليه
 السلام) فى الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان وهى ليلة القدر من
 السماء السابعة الى السماء اربعة

ثم نزل على النبي فى الارض مفرقا فى مدى الثلاثة وعشرين سنة وهى

مدة الرسالة ونرى انه لا يجب الاخذ بهذه الرواية الا في أمر واحد هو أن
 الست آلاف آية التي يتألف القرآن منها نزلت تباعاً بعضها أثر بعض على غير
 تساو في العدد كل مرة وفي ظروف مختلفة عن بعضها كثير بحيث تلزم معرفتها
 حتى يتمكن الباحث من النظر في المتشابهات منها وبينما الانجيل يقص على
 الناس جميع أدوار حياة رسوله وتعاليمه بعبارة وافية سهلت على المسيحيين
 من مبدأ أمرهم أن يتناقلوها خلفاً عن سلف ترى القرآن لا يأتي على شيء من
 ذلك غير انه كلام الله لنبيه وان سورة كذا مكية وسورة كذا مدنية وهو
 تقسيم اختياري ادخل عند جمع الكتاب وليس فيه شرح أو حديث يساعد
 على معرفة الوقائع والظروف التي استنزلت سورة وآياته وهذا هو أحد
 الاسباب التي تحمل على القول بان في القرآن اختلافاً وهناك سبب آخر مقبول
 ذلك ان الوحي كان ينزل على النبي بحسب حالة الافكار ونحوها الديني بسبب
 رسالته فكانت الآيات تنزل كما تقتضيه تلك الحال وكان من اللازم طبعاً
 حصول التعديل في اللاحق منها حتى يلائم المقام فالحكم الذي يوحى به لرد
 شبهة ظهرت تخالف ذلك الدين الجديد لا يمكن أن يبقى كما نزل بعد تبدل
 الاحوال وزوال السبب من الافكار وليس من ينكر على الطبيب تنويع
 الادواء بحسب أدوار المرض وتقلباته وعلماء الاسلام يردون طعن المنسدين
 في هذا الموضوع بمذهب الناسخ والمنسوخ فيقولون ان الله أنزل أحكاماً في
 القرآن ثم نسخها بغيرها لاسباب حكيمية عالية

وتنقسم متشابهات القرآن الى قسمين فمنها ما هو ظاهري فقط يسهل
 التوفيق بين قضاياه ومنها ما خفى سببه أو تعمرفهمه خصوصاً فيما يتعلق
 بالقدر المحتوم ولذلك تشجذت أفهام العلماء في الكلام عليه وما جاء في القرآن
 متعلقاً بهذا الموضوع قليل في جانب ما ورد في الاحاديث الشريفة وهي مجلدات
 كبيرة جاءت بجانب القرآن كالقوانين الكنائسية وحكمها يكاد أن يكون
 كحكم تلك القوانين ولكنها ليست عند المسلمين في درجة القرآن اعتباراً وقد

ما عني الجامعون كثيرا في جمعها ولكنه حصل بعد النبي بمائتي سنة تقريبا ولذلك لا يمكن للباحث أن يثق بصحة بصحتها وثوقه القرآن نفسه فلا يبعد أن بعض المتكلمين أضافوا رأيهم إلى النبي وأن كثيرا من الأحاديث المنسوبة إليه موضوعة لم تصدر عنه

ومن ذلك سهل على بعضهم أن يستنتج من بعض آيات القرآن ومن كثير من الأحاديث على الخصوص بأن الاستسلام للقضاء والقدر اس من أساسات الدين الإسلامي وركن من أركان الاعتقاد بأنه لا اختيار للمرء في أفعاله ولكني أرى من السهل أيضاً أن يجد الباحث في القرآن والحديث سنداً في القول بأن الدين الحمدي لا ينافي الاختيار في الإنسان على أنه من المسائل التي جاءت في الكتب المقدسة ما لا تزال تحت نظر المتكلمين وهم إلى اليوم لم يهتدوا إلى حلها ومسألة التوفيق بين قدرة الخالق وإرادته في كل شيء وبين الاختيار في الإنسان مسألة يشترك فيها المسلمون والنصارى والخلاف فيها عند كل فريق لا يزال قائماً حتى الآن

وصف النبي ربه بأنه العالم بكل شيء ثم وصفه بأنه علام الغيوب وهذا الوصف الأخير جزء من الأول وقدرة الذات الإلهية واستخلص من ذلك تبعية المخلوق وقال إن الله هو السبب الأعظم الأولى في كل شيء فارجع إليه جميع أعمالنا لذلك جاء في غير موضع من القرآن (وهو القاهر فوق عباده) (عالم الغيب والشهادة) (قل كل من عند الله) وكلها حقائق دارت عليها إبحاث المختلفين والنقيض على ما يقولون وهو الاختيار في الإنسان مؤيد أيضاً في مواضع كثيرة من الكتاب فقد عد المشتغلون بالتفسير واحداً وخمسين آية كلها في إثبات ذلك الاختيار يضاف إليها ثلاث عشرة آية تختص بمسؤولية الإنسان عن فعله وكان من المتمني أن يأتي النبي بما يوفق بين هذين الأمرين على أن غيره من الكتب المقدسة لم يتعرض لذلك ولم يأت اجتهاد العلماء في التوفيق بين هاتين الحقيقتين بفائدة غير توسيع الخلف أو وضع الخلط

والتعسف موضع سر لم تصل اليه الافهام وقد اعترف بذلك (بوسويه) في كتابه (الاختيار) حيث يقول ان الحق لا يهدم الحق وتعذر جمعهما على الافهام لا يستلزم عدم الاعتقاد بصحة كل واحد منهما فمن المستحيل نفى الاختيار لثبوت القدرة الالهية ولا نفى القدرة الالهية لوجود الاختيار في الانسان لانهما حقيقتان لا شك فيهما وكان يرى ان هذه المسئلة مما لا تطبيقه أفهام النوع البشرى وكان يوصى من يقترب منها (بان يتمسك بطرفي السلسلة جهده وان لم يقف على وسطها حيث يرى كيفية الاتصال بينهما) وهذان الطرفان اللذان لا ينبغي افلات أحدهما هما القدرة الربانية والحرية الانسانية أى الاختيار والوسط الخفى علينا هو التوفيق بينهما فلسنا نعرف صنع الله الذى به يحفظ على المرء اختياره ولا كيف ان السبب الكلى القديم لا يعدم السبب الثانوي الحديث قال (بوسويه) ذلك أمر يعلمه الله فلا شأن لنا فيه ولا يضرنا بقاء السر مكتوماً لديه (سبحانه وتعالى) وهذا هو مذهب المسلمين الحقيقي في الموضوع فان سألتهم كيف يجمعون بين قدرة الله والاختيار أجابوك من فورهم ذلك علمه عند الله كما قال (بوسويه) أو قالوا ليس لأحد ان يبحث فيما يريد الله والله ان يسأل عبيده عما يريد كما قال شيخهم البركاوى وجاء في القرآن (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)

ومن هنا يتبين لك مقدار اعتقاد المسلمين في القضاء والقدر وانما ترجع التبعية في مذهب الاستسلام لبعض المتكلمين من علماء الاسلام دون البقية وهم الذين نقوا الاختيار حتى لا يعارضوا به قدرة الله وتقرده في الوجود ومنهم من رأى حل الاشكال في عكس ذلك وهم أحزاب الاختيار فبينما الجبرية يقولون ان كل عمل الانسان صادر عن الله يقول القدرية ان المرء يخلق أعماله بنفسه ولا شك ان ما رواه (بالجراف) اثناء طعنه على مذهب القضاء والقدر عن النبي حديث لأحد الجبرية منسوب للرسول ولم يكن من كلام النبي وهو

لما أراد الله أن يخلق الانسان تناول بيديه الطينة التي تكون منها وقسمها الى قسمين متساويين وقال هذا للجنة ولا أبالي وهذا للنار ولا أبالي ولذلك اشتد (بالجراف) على الاسلام كغيره من مستشقي الانكليز ورماء بانه دين عباد القوة حيث ان اهلهم اله بيده جميع الاعمال اختصاصاً واستثنائاً (

ونحن نسلم انه قد يتأتى ان عالماً من علماء التوحيد المسلمين يحكم بان النعيم أو الجحيم مقدران أزلا بناء على رواية سندها غير مجمع على صحته ولكننا لا نسلم مطلقاً أن ينحو هذا النحو علماء البحث في حقائق الأمور والتتقيب في أصولها ولذلك يسهل علينا أن نقبل من (بالجراف) قوله بان دين الاسلام يرجع كل شيء الى قدرة الخالق ولا تقبل مذهب الجبرية على ان محمداً (صلى الله عليه وسلم) لم يكن من عباد القوة لكونه رأى في الله السبب الاولى في كل شيء وسنبين ان مذهبه مقول به من فريق رفيع الكلمة بين علماء الكلام المسيحيين الذين لم يطعن على رأيهم ولم يتعرض أحد من الباحثين للقدح في مذهبهم وليس الاسلام من الديانات التي ترجع كل شيء الى القوة بل هو أول دين ميز بين الخلق والخالق على نحو واضح بقول صريح فما أبعد الاعتقاد بالوهية الطبيعية عن شرع محمد عليه السلام فهو الذي أخرج عن الالوهية ما ليس منها وبعيد عليه بعد ذلك ان يقول بان الله انما هو كل شيء ومن جهة ثانية لو رجعنا الى طبيعة أفكار الشرقيين لرأينا انهم لا تلام مذهب الطبيعيين وانما دب فيهم هذا الفكر من الاعجام الذين أكثروا من السفطة في الاسلام حتى مالوا به الى الطبيعة

ونقل (سالس) عن البخاري حديثاً يؤخذ منه ما يدل على تقرير مذهب النعيم ازلا عند المسلمين ولا يخفى ان البخاري كان من الجبرية القائلين بان الله يخلق في المرء أعماله كلها فالانسان غير مختار وهذا ما نقله (سالس) (تقابل موسى مع آدم امام العرش فقال موسى أنت آدم الذي خلقك الله وبعث فيك

الروح وأمر الملائكة أن يعبدوك وأسكنك الجنة ثم حرمها على الناس
بخطيئتك فقال آدم وأنت موسى الذى اختاره الله رسوله واثمنتك على أوامره
فأنزل عليك الألواح بشرعه ووهبك مناجاته أتعلم كم من الأعوام كتبت
الشريعة قبل أن أخلق فى الوجود فقال موسى أربعين فقال آدم أو ما قرأت
فيها (وعصى آدم ربه فغوى) فأجابه موسى نعم فقال له آدم اتقدم على
ملامتي لاني فعلت ما كتب الله انى فاعله قبل أن يخلقنى بأربعين سنة قبل
ان يخلق الله السموات والارض بخمسين ألف عام)

ولو اننا علمنا لمن النصر منهما امام العرش لحكمنا بوجود الاختيار فى
الانسان من عدمه قال البخارى وقد سأل الناس النبي كثيراً عن المنتصر منهما
فانتهى بان قال انه كان لا دم عليه السلام وهو حكم بتأييد قول بلا توضيح تراه
موضوعاً اخترعه أحد الجبرية تأييداً لمذهبه ولذلك ذهب أحد أحزاب الاختيار
الى ان الحق كان بيد موسى وقال ان النبي أجاب بان النصر كان لموسى ولا
يؤخذ من هذين الحديثين سوى ان المسئلة كانت موضوع نظر الطرفين
بين الانصار أنفسهم وهو الواقع لان لدينا من الوقائع والاحوال ما يدلنا على
أنه صلى الله عليه وسلم ما كان يجب الخوض فيها فكان يشتم من سؤاله عن
ذلك ويميل فى محادثاته الخصوصية عن تفسير ما انبهم مما نزل به الوحي عليه
(اذا جاء ذكر القدر فامسكوا)

ومما تقدم يتبين انه يجب الافلاع عن اتهام ابى الاسلام بمذهب الجبرية
وان من التطرف القاء هذا الجرم على طاق المتكلمين من المسلمين لما قد بيناه
من ان نصفهم على خلاف هذا المذهب وقد قال (رولان) ان الفريقين لما
يوضحا رأيهما تماماً ولذلك تناقضت أقوالهما كما تناقضت أقوال غيرهم وفى
الواقع نرى هذا التناقض بعينه عند المتكلمين من المسيحيين
ومن تمام الفائدة أن نأتى هنا بالايجاز على ما قاله المسيحيون فى أعمال

المرء وتأثير الادارة الالهية فيها فهم منقسمون منذ قرون عديدة الى فريقين عظيمين لكل منهما شيعة ذات شأن خطير وهما فريق (لوابولا) وفريق (دومينيك) ولا يزال الخصام محتدماً بين الطائفتين وكل يزيد في الخلف بما أودع فيه من حب التعصب لشييعته فهؤلاء يذهبون الى ما يقرب من مذهب الجبرية وأولئك يقولون بالاختيار في الانسان وكل متمسك برأى قومه تمسكاً ما عليه من مزيد والفريقان يعملان على تمجيد الخالق جل شأنه مع المحافظة على مذهب شعبيته وعدم الخروج عن طغمته

فأما أصحاب (دومينيك) فقد انتسبوا الى (توماس) فقيل لهم توميون وهو عنوان له وقع في النفوس ومنزلة في الافكار وسلطة في المناقشات اذ يتردد الناس كثيراً في معارضة رأى سددته ملك المذهب (هو القديس توماس المذكور سمي بذلك لبعده صيته وعلو كلمته بينهم) ومع كونه عنواناً رفيع الشأن فان من اتخلوه عادة ليسوا على استحقاق به فادعى أحزاب (جامنسانيوس) الهولندي صاحب مذهب القضاء والقدر الذي حرمه البابا (ليون) العاشر انهم من اتباع القديس توماس المذكور ولا يعترف اليسوعيين لفريق (دومينيك) بالتابعة اليه لان مذهبهم يميل الى القضاء والقدر ولم يكن توماس من هذا الرأى في اعتقادهم بل أصل المذهب رجل اندلسي يقال له (بانيس) كان يدرس علم الكلام في سلمنك في أواخر القرن السادس عشر ولذلك ينسب اليسوعيون مذهب دومينيك الى هذا الرجل ولكننا سنبقى للمذهب اسم توما لا ادعاء انه الحق وان لنا من الدرجة ما يخولنا أن نأتى بفصل الخطاب في مثل هذا الجدل ولكن لانه اسم قرره التاريخ فصار معروفاً حتى ان المتكلمين من الوعاظ يؤيدون نسبتهم اليه بتغاليهم في الاعجاب به وتعصبهم لذلك الرئيس الذي كان به مجد عشيرته ولقد ذهب بهم التعصب حتى أدخلوا في تعاليمهم ان ما نقل عنه انما هو أمر مقدس وحرموه على الخلف الخروج عنه وجعلوه صادراً عن معصوم لا يخطأ وفرضوا على المريدين في

مذهبهم يمينهم أن يقبلوا كل ما جاء عنه قضية مسلمة بغير جدال ولا مناقشة وما أشبه هذا التحريم بما جاء في القوانين الاساسية الفرنسية حيث نصت (لا يجوز لأحد أن يطلب من الشورى المناقشة في شكل الحكومة الجمهورية) بمعنى ان كون الحكومة جمهورية أمر يجب الاذعان اليه مطلقاً ولو طلب من الكنيسة أن تقصر ما تناقض من مذهب هذا الرئيس خيف على الشيعة أن تتحل روابطها ولذلك نراهم يهربون من التفسير بما منعوا من نظر المجتهدين فقد كان أحزاب (دومينيك) ومعهم قديسهم توماس قبل تقرير مذهبه يقولون بان المذراء لم تكن معصومة فلما تقرر مذهبه قالوا معه انها من المعصومات وهو تناقض يحرم النظر فيه كما قرروا أما شيعة اليسوعيين فغير مرتبطة في تعاليم القديس توماس بهذا المين ولكنهم لا يريدون الجهر بمخالفته في دفاعهم عن الاختيار بل يطعنون على (ابانس) ويحاجون مذهبه بمذهب (مولينا) وهو يسوعى من البرتغال ولذلك أطلق عليهم عنوان (مولينين) وكان الجدال عنيفاً بين الطائفتين فبدأ نحو السنة التسعين بعد الاربعمئة وألف من الميلاد ودام حتى نهاية القرن السابع عشر ولم تؤثر في الحزبين أو امر الباباوات المتكررة بمنعهما عن المطاردة وها قد عاد الجدال فظهر في هذه الايام وكان كل فريق يرمى خصمه في مبداء النزاع بالبدع والمروق فقام بانس امام الهيكل وحرم كتاب مولينا مدعياً انه احتوى على مسائل كلها بدع ترجع الى مذهب (بيلاج) وهو قس ظهر في القرن الخامس أنكر سبق القضاء بالجرمة التي ارتكبها آتم في الجنة وان كل خطيئة من بعده فخطيئته السبب فيها ورد عليه مولينا فرماه بانه من شيعة (كلفان) وهو العالم الشهير في القرن السادس عشر مؤسس مذهب البروتستانت في الدين المسيحي فلما رفع الخلاف الى البابا تحير في أمره ولم يدر بماذا يحكم بين المتخاصمين وكانت قضية تتشوق الافكار لمعرفةا ويجب كل باحث في علم الكلام الوقوف على مفصلاتها وقد دامت مطروحة امام البابا (كليان) الثامن الى بولس الخامس وتداخل

سفير اسبانيا معيناً لشعبة توماس فلم يفلح بل قوى الخصام وعمد البابابولس الخامس الى نصح الفريقين باستعمال ما أمر به الانجيل من المحاسنة ولين المعاملة فكان يقول (مما لا ينبغي أبداً أن يتخاصم أولئك القسس خصام التحاقد والاستقتال كالمثوحشين) وانتهى قاضى روما فلم يقرر بان الخطأ أصله خطيئة آدم ولكنه لم يقض على أحد الفريقين بل أباح لكل نشر مذهبه وقال ان التنازع فى الدين غير معيب فان الله مع كل متدين والمذاهب تستنير ببعضها كما يجلى الماس بالماس

وسار أشياع توماس فى مذهبهم شوطاً بعيداً حتى قالوا مذهب الجبرية فى الاسلام وكان (بانس) يقول (أن الله هو السبب فى جميع الموجودات فليس من سبب سواه فكل مسبب هو سببه وهو المسيطر على كل شئ وليس لغيره سلطان عليه) وكان خلفاؤه يجتهدون من بعده فى التوفيق بين رأيه وبين الاختيار فى الانسان فاضطربت أقوالهم وأعجب عباراتهم وقالوا ان كل عمل واجب وجازم معاً ثم فسروه بان الله هو الذى يبعث الارادة فى الانسان ومعلوم ان الارادة مختارة فهي مسيرة حسب طبيعتها أعنى حرة فى عملها وهو غاية فى الخلط ونهاية فى الاغماض

وانتهى الجدل أخيراً بظهور مذهب جديد يقول بتأثير الله واختيار الانسان معاً وهو المذهب الذى مال اليه (بوسويه) لكونه لم ير أحسن منه فى التوفيق بين الأمرين ومبناه ان الله سبب أولى والانسان سبب ثانوى ولست أريد أن أفسر مذهب مولينا غير انى أقول انه أوجد لفظين سهلا الكلام ان لم يكونا قد سهلا تفاهم هذا المعنى العظيم فكان العلماء قبله يصفون الفعل بكونه واجباً أى لا بد من وقوعه وجازماً أى يحتمل الوقوع وعدمه مع اهمال المستحيل فأضاف هو لفظاً ثالثاً جعل معناه وسطاً بين الحالتين وقال منتظر^(١) وهو عنده الواجب المقيّد بشرط اذا تم وقع والا فلا وكان يسمى العلم بالمنتظر

علماء وسطاً وبهذا يقدر تأثير القدرة الالهية في الافعال وخلاصة هذا المذهب تغليب الاختيار على القضاء والقدر رداً لمذهب توماس وهو تغليب الثاني على الاول

هذا واذا رجعنا الى الاسلام وجدنا شبهها كبيراً بين القدرية والمولينيين وبين الجبرية والتوماسيين وهؤلاء وهؤلاء عور كما قال عبد الرزاق . فأما القدرية وهم احزاب الاختيار فانهم فاقدو العين اليمني وهي الاقوى التي بها يبصر السبب الاولى واما الجبرية وهم القائلون بالقضاء والقدر فقط فانهم فاقدو العين اليسرى وهي اقل إبصاراً لكنها تبصر السبب الخارجى او الثانوى وغنده (ان الذى يرى الصواب هو الذى يستعمل الباصرتين من قلبه فىرى باليمنى مصادر العمل الاولى ويرجع الى الله جميع الافعال خيراً وشرها ثم يرى الناس باليسرى ويبصر تأثيرهم فى تلك الافعال بذاتها) وكان هذا الخلاف العظيم سبباً فى إيجاد الفاظ مخصوصة استعمالها المتناظرون الا انها لا تخلو من السفسطة فقالوا ان لكل عمل قضاء ولكل عمل قدراً بالقضاء يقرر الله كل شئ يكون والقدر هو تنفيذ الشئ المخصوص على النحو الذى تقرر بالقضاء وبياناً لذلك جاء عبد الرزاق بالقصة الآتية (بينما كان النبي صلى الله عليه وسلم سائراً فى الطريق يوماً اذ رأى جداراً يريد أن ينقض فقال له احدهم أتريد أن تهرب من قضاء الله فأجابه انى اهرب من قضائه الى قدره)

وظهر مذهب ثالث اراد التوفيق بين الجبرية والقدرية ومن رأى أصحابه انه ليس من قضاء مطلق ولا من اختيار مطلق بل الحال وسط بينهما والفعل الواحد نتيجة أثرين أحدهما الهى والثانى انسانى واشتقوا لهذا المعنى الوسط لفظاً مخصوصاً سموه الكسب الاختيارى وهذا الاشتقاق يعد كنزاً عند أصحاب الجدل وقالوا ان الافعال تنبعث عن ارادة الله والمرء يكسبها باختياره ووفقوا بين بعض الاحاديث المتناقضة لا ليضعفوا من مذهب السنيين بل ليبينوا ان القضاء الازلى لا يزال سرّاً مجهولاً

ولما سئل النبي عن مصير صديقه أبي هريرة أجاب موجزاً (لقد جف القلم بما قدر له) ومعناه ان مصير كل مخلوق مكتوب من الازل في اللوح المحفوظ ولن تبدل له تبديلاً الا ان قومًا سألوه لم يعمل الناس فأجابهم (اعملوا فان الله خلق في كل واحد منكم ما يقدر به أن يفعل ما خلق لاجله) وجوابه هذا قريب من قول (هيرفليت) و (هيغل) من بعده من ان المرء خلق بين أعمال كانت وأعمال تكون

ويقرب مذهب عبد الرزاق كثيراً من مذهب (التوميين في هذه الايام فالمذهبان يتفقان في ان للاختيار دخلاً في كينونة الافعال وعلى ان ما قدر محتوم من جهة وجاز من جهة أخرى وهى نتيجة لا تنفهم وهو يقول ان القضاء يتناول الفعل نفسه وكيف يقع والكيفية هى الاختيار الانسانى وجاء (بوسويه) بعده باجبال عديدة يفسر الموضوع بذاته كما فسرده هو من قبل فقال يعمل الانسان العمل مختاراً بقضاء الله أراد أن يكون مختاراً وهو معه في جميع أدوار الفعل حتى يكون وليس هذا كل ما يتشابه فيه المسيحيون والمسلمون بل الحال واحد في أمور كثيرة غير ما تقدم كالعدل ومسؤولية العبد ومصدر الشر واهاب السلامة من الله في الآخرة وهكذا

الى هنا أمسك القلم عن الخوض في هذا الموضوع ولكن ليسمح لى القارئ أن أذكر تشبيهاً لعبد الرزاق المار ذكره تأييداً لحجته فانه أراد ذات يوم ان يبين لاحد طلابه سبب ان الرجل ذا النفس الدنيئة يفضل الشر على الخير مع علمه بأفضلية الثانى على الاول فقال له ان مثله مثل الزنجى الاسود الذى يحب أولاده على قبح خلقهم ويفضلهم على ولد من أبناء الترك مع علمه بانه فوقهم فى الجمال

ثبت والحالة هذه ان الاستسلام ليس من قواعد الاسلام بل هذا مذهب البعض من علماء المسلمين بدأوا كما مثالهم من المسيحيين بان قرروا ان السبب الثانوى فى الافعال خاضع لتأثير السبب الاصلى ثم دفعتهم حدة الخصام فتغالوا

بما شذ عن المعقول وخرج عن الصواب ذلك لان المذاهب من شأنها أن يحتدم
الجدال بين أحزابها فلا يتمكن الهدوء من أن يسود في المناظرات ولا يتحكم
المعقول وحده في المناقشات كما قال (رينبون) ثم قام أناس فنشروا تلك الأقوال
المتطرفة سواء عند المسلمين أو المسيحيين ولكنهم لم يؤثروا تأثيراً كبيراً
كذلك يكون الحال في كل آن ولن تجد لما فطر عليه المرء من الوجدان
تبدلاً أما عقله فسينفي في البحث عن حل يرضيه لهذه المسئلة الغامضة فاجتماع
ارادة الله وارادة المرء في كينونة كل فعل من الافعال بحث عزيز المنال كما عز
على العلماء عند المسيحيين أن يفقهوا معنى الرجل الالهى بشرط أن لا تنتقى
احدهما بالآخرى أى الارادتين وهو مذهب غير مرضى عنه عند الموحدين
بلا استثناء . قالوا قضاء وحكم أزلى وتأثير وميل واستعداد واجتماع وكلها
ألفاظ انما تدل على اجهاد الفكر في استنباط المجهول ومهما اجتهدوا في بحثهم
فان الخطأ لازم لتفسيرهم كيفية تأثير القدرة الالهية في أفعال البشر لان نبراسهم
الذى يهديهم بشرى ولن يصح أن يقاس الاله بالانسان فما أشبه عقل المرء
على ضعفه في بحثه عن النسبة بين السببين الالهى والبشرى بميزان فاسد ان
أخذنا من احدى كفتيه سيراً لنضيفه الى الثانية انخفضت احدى الكفتين
على عجل تكاد ان تقلب الثانية وهو دليل على فساد النظر بهذه السكيفية
والحاصل ان علم الله وقدرته لن يزالا يظهران لا فسكارنا منافيين للاختيار فينا
ونحن نشعر به حقيقة لا مندوحة عن التصديق بوجوده وستعاقب الفلاسفة
ويقتلون أزمانهم في البحث والتنقيب عن أمر لا محيص عنه وليس من فائدة
في حله اذ الحقيقة ومقابلها من المعانى المقبولة عند جميع الناس عالمهم وجاهلهم
من دون تعب ولا اشمزاز فالاختيار فى الانسان مبدأ أدبي بديهي التصديق
كما قال (كانط) فهو بعيد عن مناقشات الباحثين ولا تأثير للتنقيب فيه وقد
قال (لوتر) أخذاً عن (كلفان) باستعداد الانسان للمؤثرات المادية ومع ذلك
لا نرى المسيحيين الكاثوليك والبروتستانت يشعرون بأنهم ليسوا أحراراً فـ
يأتون من الاعمال

هذا واذا بحثنا عن السبب الذى اوجب اتهام المسلمين بالاستسلام لوجدناه
 ناشئاً من عدم ادراك الناس لحقيقة تلك الفضيلة التى هى من خصائص ذلك
 الدين ومنها اشتق اسمه (اسلام) وتلك الفضيلة هى الاحتمال فقليل من
 الديانات يأمر الناس بالرضوخ الى الارادة الالهية على النحو الذى جاء به الاسلام
 والمسلمون يعملون بتلك الفضيلة فلا يفوقهم فى التمسك بها نساك المسيحيين
 ومن الخطأ الحكم على المسلمين بمذهب الاستسلام لبعض ألفاظ يستعملونها
 كقولهم هذا مكتوب عند ما تصيبهم محنة فانما هم يعلنون بذلك خضوعهم
 لرب السموات والارض كما يفعل المسيحيون بقولهم (فلتكن هذه ارادتك)
 كذلك نسبوا الى الاستسلام ثبات قدم المسلمين وعدم جزعهم من الموت
 واقدامهم بشجاعة تتصل بالتهور فى ميادين الحروب مقدمين رؤوسهم الى
 أسنة الجيوش الاوروباوية فى هذه الايام وهو خطأ أيضاً لان تبسم المسلم عند
 ملاقة الموت واقتحامه اخطار الحروب انما جاءه من اعتقاده الجازم بنعيم الدار
 الآخرة ومن شدة ايقانه وایمانه مما يجعل النفس هادئة تلقى الختوف وهى
 مطمئنة ولا شك فى ان الدين الاسلامي بتسهيله على الانسان انتقاله من هذه
 الدار قد حل معضلة من أصعب المشكلات ومن النقص فى مثل هذا الدين
 أن يرمى بانه قليل من شجاعة المسلمين الادبية أو أرخى عزائمهم



الفصل السادس

انتشار الاسلام أيام الفتوحات العربية — تخطيط ممالك الاسلام
انتشاره في أفريقيا الوسطى — تجار المسلمين ومستكشفو
الاوروباويين — الاسلام في مبدئه وبعد ذلك
اسباب الانتشار — المرسلون المسلمون —
(النوليسيون والخواصه) — أسباب
انتشار الاسلام الالهية

قد كشفنا الغطاء عن العلل التي اتحلوها سبباً في انتشار الاسلام انتشاراً عظيماً وبيننا فسادها ووعدنا ببيان الاسباب الحقيقية عند البحث عن تقدمه في هذه الازمان لانا نعتقد ان استطلاع حال هذا الدين في العصر الحاضر لا يبقى أثراً لما زعموه من انه انما انتشر بمجد الحسام كما فندناه من قبل ولو كان دين محمد (صلى الله عليه وسلم) انتشر بالعنف والاجبار للزم أن يقف سيره بانقضاء فتوحات المسلمين مع اننا لا نزال نرى القرآن يسط جناحيه في جميع ارجاء المسكونة وهذه الحركة المستمرة في هذه الايام تحمل على الاعتقاد بان الاسلام هو الدين الثالث الذي جاء موافقاً لطبيعة البشر بعد ديانة بودا الهندي والديانة المسيحية . وظن آخرون بان الاسلام كان تابعاً لتمدن العرب وحضارة الخلفاء التي كانت تأخذ بالنفوس في دمشق وقرطبة وبغداد وانه انتضى بانقضاء ذلك قال (بارتلمى صانت هيلير) (ما عاد أحد من الناس يعتقد الاسلام) والواقع انهم أخطأوا في معرفة حقيقة الامرين انتشار الاسلام وتمدن العرب فأما التمدن فهو أمر يعتبر لغوا في الاسلام أو هو نقيض له وعلى كل حال فهو حارص فيه وساعدت الظروف على نموه بجانب القرآن ولو انه استمر لاطفاً نور دين النبي العربي بسقوط الامراء في مهواة عدم التصديق وقلة الايمان

وانحياز الامة الى عالم التخيل والاهواء . وبينما كان هذا حال مدن الخلفاء
الآهله بال عمران فلا تخصى شعراؤها ولا تمد الادباء وفيها الفلاسفة يتناظرون
والعلماء فى المعارف يتناقشون كانت صحارى العرب وليبيا وافريقيا محتفظة
على الدين الاسلامى فى كاله الاصلى ولم تمسه فيها يد اجنبى عن تعاليمه أو
خارج عن شرائعه هنالك كان منبع رسل ذلك الدين الذين انتشروا فى الاصقاع
كما تدل عليه قبورهم البيضاء التى نشاهدوها الآن فى أفريقيا الشمالية

وسنحصر كلامنا فى انتشار القرآن على قارة أفريقيا وانما نذكر على سبيل
العرض ان له فى الصين عشرين مليوناً من النفوس وان للمسلمين ويقال لهم
عندهم (هوى هوى) منزلة عليّة فى المملكة الرسطى قال موسيو (وازيليف)
وهو من الذين اشتغلوا بالاسلام فى تلك النواحي ان مصير القيام مقام مذهب
(ساكيامونى) (١) وان لمسلمى المملكة السماوية اعتقادا جازماً بان الاسلام
لا بد أن يسود حتى تزول به تلك الديانة القديمة البودية وهى مسئلة من أهم
المسائل اذ الصين أهلة بثلاث العالم أو تزيد فلو صاروا كلهم مسلمين لاوجب
ذلك تغييرا عظيما فى حالة تلك البلاد بأجمعها فيمتد شرع محمد من جبل
طارق الى المحيط الاكبر الهادى ويخشى على الدين المسيحى مرة أخرى ومعلوم
ان أمة الصين أمة عاملة وان هدأت أخلاقها وجميع الامم تستفيد الآن من
عملها فلو جاءها التعصب الاسلامي ذو البأس القوى لخشيت بقية الاسم من
السقوط تحت سلطانها (٢) وقال موسيو (مونطيط) لقد صار من المحقق ان

(١) هو أحد ملوك الصين تخلى عن الناس فى التاسعة والعشرين من
عمره وعكف على العلوم حتى برع فيها وسمى نفسه (بودا) ومعناه العالم أو
المتنور ووضع المذهب الذى اتخذه الصين والهند ديناً وكان ظهوره فى القرن
الحادى عشر قبل المسيح وقيل فى القرن السابع وهو الأرجح
(٢) راجع كتاب موسيو دابري المسمى الديانة المحمدية فى الصين

الاسلام ظافر لا محالة على غيره من الاديان التي تتنازع البلاد الصينية (١)
والاسلام قليل في أوروبا ومع ذلك نراه في شمال تركيا الى ليوطونية وهو
أيضاً في أمريكا حيث أدخله الزنوج وغيرهم الا ان افريقيا لا تزال بلده
المصطفاة فهو فيها كالديانة المسيحية في أوروبا قال موسيو (بولنيك) يسكن
المسلمون جميع الشواطئ من (سياراليون) الى موزنبيق البرتغالية ماراً
بمراكش وولايات البربر (المغاربة) وقال السويس وأما في الوسط فيمتد
الاسلام من البحر الاحمر الى المحيط الاثلاثيني ومنه الى البحر الابيض
المتوسط الى الدرجة السادسة من العرض الشمالي وتقدم انه في الساحل يمتد
الى موزنبيق البرتغالية أعني انه يقرب من الدرجة العاشرة من العرض الجنوبي
وفي (مدغسكر) كثير من المسلمين حتى ان بعض المستشرقين ذهبوا الى ان
اسم الجزيرة (مدغسكر) أصله مأخوذ عن العرب قال موسيو مونتيط
وأكثر انتشار الاسلام في افريقيا فهو يتقدم فيها تقدماً سريعاً وينجح نجاحاً
كلياً لان أزر المسلمين فيها مشدود بما لهم من المكنة في الجهة الشمالية وهم
آمنون على ساطتهم الدينية في تلك البقاع التي تغرب في الصحراء حتى تبلغ
بلاد السودان الواسعة فلا ينازع الدين الاسلامي دين غيره لذلك يكثر عددهم
وينمو الدين على الدوام

وقد تخطى سيره السودان واشرب نحو ارجاء خط الاستواء وكان
له مقر يقرب من أملاك فرنسا في بلاد النيجر لذلك عرفه ضباط الطلائع وان
كانت معرفة سطحية ولكننا لم نقف على سيره تماماً الا عند ما استولينا على
الكونغو وشاهدنا القوافل الاسلامية تهرب امامنا كمن يريد أن يخفى سرّاً
عن أجنبي والمسلمون اليوم محصورون بين أملاكنا في شمال افريقيا

وتركستان الشرقية المطبوع في باريس سنة ١٨٢٨

(١) راجع مجلة تاريخ الديانات في شهرى مايو ويونيو سنة ١٨٨٣

ومرا كزنا في الكونغو وسنغال حتى كانهم في قرصة نشدها أو تفسح فيها
حسب ما تقتضيه سياستنا

ولا انتشار الاسلام في وسط أفريقيا منبعان الاول في الغرب وهو قديم
امتد أثره الى الشاطئ الاثلاثيحي حيث دخل القرآن واعتقده سكان تلك
الجهات ولكنه انثنى امام تقدم الفرنسيين من ناحية سنغال الى بلاد النيجر
ولم يزل ينثنى آناً فآناً حتى خرج من (تذبكتو) وهي منبعه الاصل الى
(سقطو) ومنها الى (كانو) ثم الى (كوكا). الظاهر انه استقر فيها وأما المنبع
الثاني ففي الشرق وهو حديث العهد ويصل أثره بين (وداي) ودارفور
بمجردين هما المهدي ورئيس الطائفة السنوسية ويفصل بين هذين المبعين
انهار (شاد) و(شاري) و(لونغوني) الجنوبية وأهل الشرق أهل حروب
متعصبون امام قوم الغرب فيميلون الى التجارة والمسالمة وكان الفريقان
ينقدمان بالاسلام بين الوثنيين المجاورين لهم على امتداد اثني عشر ألف كيلو
متر حتى تلاقوا بالفرنسيين قبيل الكونغو نواحي نهر شاد فلم تفر أعينهم
لهذه اللقيا لانهم كانوا هجروا البلاد التي هاجمها الكفار وظنوا انهم يأمنون
لقاءهم في الجنود فلا يجدون غير الوثنيين ممن لم يعرفوا للاوربيين خبراً ويقال
ان الاورباويين الذين التقوا معهم أتوا من أقطار بعيدة في الجنوب حيث
تمت لهم فيها الشيادة ولهم فيها مراكب ومدرعات تروح وتغدو في أنهار
واسعة تجري من الشرق الى الغرب

ومن الامور ذات الاهمية الكبرى بالنظر الى انتشار الاسلام توسط
الاورباويين في أفريقيا وحلولهم في بلاد نهر الكونغو لانهم بذلك قسموا
القارة الافريقية من طرف الى طرف وربما يخشى على حركة الاسلام الذي كان
يمتد رويدا رويدا مطمئناً من الشمال الى الجنوب كما يخشى على التجارة التي كانت
تروح وتغدو مع القوافل الاسلامية فينعكس مجراها فتميل الى العرب نحو

هر الكونفو لذلك اشتغل رؤساء المسلمين بهذا الامر اشتغالا لا مزيد عليه
 حذراً من انقلاب الحال في تلك البلاد ولقد يفيد المتأمل أن يعرف كيف
 كانت نتائج مقابلة الاوروبين القادمين من جهة الكونفو مع المسلمين
 النازلين من السودان لولا ان هذا البحث يبعدنا عن مقصدنا فلنقتصر على
 البحث عن العلة في حياة الدين الاسلامي تلك الحياة القوية وما السبب في انتشاره
 هذا الانتشار العجيب

وهنا يجب البحث فيما اذا كان الاسلام ديناً عمومياً بطبيعته كدين بودا
 وكالدين المسيحي أو هو دين خاص بامة من الأمم وهو بحث طرق
 بابه من قبل موسيو كينان والجواب عليه صريح لا شك فيه من الجهة العلمية
 فلاسلام دين عام بغير شبهة لاننا نشاهد من المسلمين في كل أمة على اختلاف
 الاجناس والبلدان ففهم الشرقى والتترى والغربى والهندي والزنجى بقى علينا
 أن نعرف مع موسيو كينان ان كانت هذه الحالة العمومية ناشئة من طبيعة
 الدين أو متولدة من اسباب أخرى وهو يرى أن الامة العربية ليست مهددة
 الطبيعى وانما هو ينتهى اليها وليس فى طبيعة هذا الدين انه دين عمومى وهو
 قيد ناشئ عن نظر فى الموضوع من احدى جهاته فقط لان الدين الاسلامى
 الذى منشؤه القرآن والسنة هو الذى تولد عنه ذلك الاسلام الذى يعترف
 المؤلف المشار اليه بانه دين عام لامحالة وانتقاله من حالته الاولى الى الثانية
 حصل تدريجاً بطريقة يتعذر ضبطها وذلك بتأثير الزمان والامم المختلفة التى
 اعتنقته بحيث يتعسر التفريق بين تقدير تأثيره من حيث هو فى أصله وتأثيره
 بعد ان صار كما نراه فى هذه الايام فلا يفضى موسيو كينان اذا حذفت تقسيمه
 الاسلام الى اولى ولا حق وقات فيه كله كما قال فى كتابه انه دين عمومى
 على الانتقال من حالة أولية الى غيرها ليس عرضاً خاصاً بالدين المحمدي
 بل تشترك فيه جميع الاديان

فما يرمى الى حالة الاسلام الحالية انتشار مذهب الزهد والاعتقاد بالاولياء
وبعض الاموات وكثير من التبعيدات الاخرى وسببه ان المرء طماع في الدين
جاصل الخلقة ولكل أمل خاص ومن هنا تولدت تلك المذاهب والافكار
ارضاء لشهوات تشتد ظهوراً كما تقادم العهد عليها ولم ينبج الاسلام من لوازم
هذه الضرورة بل خضع اليها وأداها حقها وهذا من أكبر أسباب تقدمه
ولكنه أيضاً سبب من أسباب تناقضه لان تلك المذاهب تخالف مبدأه ولقد
تجدد النفوس التي رفعت أعنتها الى السماء ومالت الى التجرد عن الحواس
ورغبت في مشاهدة الحضرة الربانية طريقاً مسلوكة في مذهب التصوف يسهل
عليها النسك والتعبد وقاما يلومهم بعض المتشددین من العلماء وان كان التزهد
بهذه الصفة أى الاعتقاد بالوصلة بين العبد والله مما يخالف مذهب التوحيد
ومن الناس من يرى نفسه بعيداً عن ربه فلا يستطيع أن يرفع دعاءه اليه وهو
في بعض الاحيان غريب (كقوله إلهي ارزقني من الابناء ذكورا ولا تجعل
ماشيتي تلد الا اناثاً) ولمثل تلك الافهام وجد في الاسلام مذهب الواصلين
والذين صار بيدهم توزيع كثير من المبرات في اعتقاد العامة واليهم صار يرحل
الجمع العديد من القوم الذين ضلوا سواء السبيل فيجتمع اليهم قطاع الطريق
والشحاذون والنسوة العاقرات وشبان يريدون الثروة أو الجاه وشيوخ نضب
عود قواهم مع اننا لو رجعنا الى القرآن لرأينا التصديق بالاولياء غير شرعى
ولوجدنا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) حرم الاعتقاد بهم (والذين اتخذوا من
دونه أولياء مانعبدكم الا ليقربونا الى الله زلنى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه
يختلفون) والواقع أن الاسلام في مبدأ ظهوره ما كان يقبل غير الاعتقاد بالله
الواحد الاحد وقد بقي هذا المذهب كما بدأ فهو اليوم جامعة تلك المذاهب
واليه ينتهى كل اعتقاد

ومن مزايا الاسلام انه دين رحيم فهو يعد الجنة والنعم لكل مؤمن من

دون تمييز على التقريب فالمحارب يموت شهيداً والعالم يكتفى بتلاوة القرآن
والاثنان مقبولان عند الله وللفقير مكان على وللفنى درجة رفيعة

ولقد كان فكر النبي فى الالهية من ارفع الافكار واسماها ولكنه
تساهل كثير فى تقدير الانسانية لذلك تسامح الناس كثيراً فى رغباتهم وما كانوا
اليه يميلون . نعم يجب على الرجل أن يعتقد ويعبد الله ولكن لا يجب عليه
أن يحارب نفسه ويعذبها العذاب الاليم ليقهرها اذ لا ينبغي له أن يطلب
لنفسه الكمال ولن يصل اليه لان من أراد الكمال فكانه أراد أن يساوى الاله
فى جلاله وهو اسوأ الاعمال وأخبت الرغبات وكان رسول الله يميل الى بعض
ما يميل الناس اليه من المشتبهات فكان يقول على أسلوب بسيط (حبب الى من دنياكم
ثلاث النساء والطيب وقرة عيني فى الصلاة) ولقد يعسر الجمع بين هذا التفضيل
وبين الميل الى النساء حتى يكاد العقل أن يرى فى الامر تمكماً ولكن هذه
الجملة لا تحتوى فى الحقيقة على معنى خفى بل ما يفهم من لفظها هو الذى قصد
منها ومن وطأها فقد عرف الاسلام كما ينبغي وقد ورث المسلمون عن نبيهم
ميلهم الى ما كان يميل اليه فللصلاة فى قلوبهم منزلة سامية وليس التعبد بها
عندهم خاصاً بالنساء والاطفال كما هو عند المسيحيين بل هى مزية من مزايا الرجال
واحدى جهات فضلهم على النساء ولا يواظب عليها الصبي أو المرأة الا نادراً
لاعتبارها عند المسلمين من أعظم الامور التى تلزم فيها صفات الرجل التام

ومع ذلك فمن الشهوات ما نهى النبي عنه وأمر بمجاهدة النفس فيه فقد
حرم على المسلمين شرب الخمر وكل شراب يؤثر مثله وقد بالغ المسلمون فى
العمل بهذا النهى فكان من وراء ذلك ان نجت الامم الاسلامية من مرض
المسكرات وهى الداهية التى تفجع اليوم اما كثيرة من المسيحيين وكانت احدى
الاسباب فى اضطراب المجتمع الانسانى وظهور مذهب الفوضويين مما تجهله الامم
الاسلامية

هكذا جذب الاسلام قسما عظيما من العالم بما اودع فيه من اعلاء شأن النفس بتصور الذات الالهية على صفات فوق صفات البشر تذكرها خمس صلوات في كل يوم وبما اشتمل عليه من الترفق بطبيعة البشر حيث أتاح للناس شيئا مما يشتهون واعظم عامل في انتشار الاسلام خصوصاً عند الامم الزنجية (السود) بساطة مذهبه وسذاجة تعاليمه وهو سبب موجود في القرآن نفسه فهو بذلك يلائم طباع الهمج كثيرا الذين لم يعرفوا ديناً من قبل ذلك. ديننا لا اسرار فيه وكلمته أى كلمة الشهادة يعتاض عنها عند الاحتضار بشارة تبدل عليها كرفع السبابة الى السماء اشارة الى وحدانية الله تعالى فكلمنا وجد الرجل الجاهلى امامه دينين متحدين فى حقيقتين وحدانية الله وخلود الروح وهما الاسلام ودين عيسى تراه يختار الدين الذى لايزيد شيئا عن تلك الحقيقتين ويعتق الاسلام بلا محالة وهى قوة يفضل بها القرآن الديانة المسيحية فى الانتشار وكانت معروفة عند القرن السابع عشر لذلك نقرأ فى كتاب القس (ماراشى) الذى سماه (الرد على القرآن) (ولا يغيب عن ذهن القارئ ان تلك الطائفة الشريرة أو المخرفة أو ما تشاء من الاسماء لاتزال حافظة لـكل ما فى الدين المسيحى من الامور الظاهرة الواضوح القريبة التصديق مضافا اليه ما يوافق نظام الكون وقانون المنشأة النبوية فقد أبعد عنه أحاجى الانجيل التى نخالها فى أول الامر غير صحيحة لاتدركها العقول كما انه جرد تعاليمه من كل قاعدة يشد بها الخناق على البشر مما جاء فى ذلك الكتاب وبهذه الوسطة تمكن من رفع العقبتين اللتين يحس كل واحد منا بانهما الحاجز بينه وبين الدين الحق الصحيح وهما عقبة الروح وعقبة الجسم وهذا هو السبب فى أن الوثنيين الذين يريدون ترك دينهم فى أيامنا هذه يمتاضون عنه بالاسلام دون الديانة المسيحية)

بقى علينا أن نستقصى الاسباب والوسائل المستعملة الآن لانتشار الاسلام وهنا أيضاً نجد سبباً عظيماً من أسباب انتشار القرآن فراقعوا راية الاسلام هم

في العادة تجار بلد واحد تضافروا على جلب الرزق من بلاد قاصية فالمبشر الاسلامي (وليلاحظ ان هذا الاسم غير صحيح عند المسلمين اذ ليس لديهم مبشرون منقطعون لهذا الامر كالمسيحيين) لا بوجب عند الامم الجاهلية خوفاً منه ولا فرقا لمقدمه كما يحصل لهم ذلك من المبشرين المسيحيين وهم كما قال موسيو مونتيل يعتقدون دينه لانه لم يعرضه عليهم فمما أشبه الامم بالاطفال ترغب عما يقدم اليها وترغب فيما تحسبه ممنوعاً عليها أما الطرق المستعملة في انتشاره فكثيرة متنوعة وأحسن موقع نبحث فيه عنها جهات أفريقيا بجانب الاملاك الفرنسية قرب خط الاستواء فليس من جهة يشاهد المرء فيها تقدم الاسلام أحسن منها

والقاعون بهذا العمل هم (الفولبوسيون) وهم الجنس الابيض في السودان وله الاولوية على غيره . وهو أعرق في الاسلام واليهم أشرفنا عند ما قلنا بان أحد منبغى الاسلام أقاليم نهر شادو وقد شاهدتهم المكتشفون الفرنسيون في (شارى) و (لوغونه) والفولبوسيون يقصدون نشر الاسلام وتوسيع متاجرهم ثم هم يرمون الى غرض آخر هو اتساع نطاق سلطتهم فاهم خطط سياسية في الاستعمال مثل أوروبا يعملون لاجها في أفريقيا قال موسيو (مستران) ان الذى ألفت ذهننا كثيرا لما قدمنا الى جهات شارى هو النظام السياسى الذى تمكنت ملوك الاسلام في أواسط أفريقيا من ايجاده بين الامم التى دانت لكلمتهم) والفولبوسيين مساعد كبير من عشائر يقال لها الخواصة وهم من الجنس الابيض وأقرب عهد بالاسلام وأقل منهم منزلة فنسبتهم اليهم كنسبة اليهودى للعربى ولقد شبهنا باليهودى لانه تشبيهه قال به جميع الرواد والمكتشفين من الاوروبايين فالخواصة أمة لازمة لكنها محتقرة كما هو شأن اليهودى يحب المال ويتكهن طرق اكتسابه ولا يخاطر بتجربه فيسير خلف (الفولبوس) وهو رجل الحرب والفتوح ولا يستقر به القرار الا اذا آمن

وتمكن والخواصة هم أهل المعارف والعلوم في السودان حتى كأنهم احتكروها
 الا أن علمهم قاصر على شيء يسير كالقراءة والكتابة في اللغة العربية وهو
 كاف لنفوذهم في الوثنيين لان هؤلاء يعظمون الكتاب والقارىء الى درجة
 العبادة تقريباً ومع ذلك فلا يزال الخواص وضيع الدرجة في عين متبوعه
 الفولبوس فالفولبوسيون هم أنصار الاسلام في الحقيقة والخواصة منهم بمنزلة
 الوعاظ والفقهاء

ويعزى امتداد سطوة الفولبوس دينياً وسياسياً الى تداخلهم في الخصومات
 التي تتكرر بين القبائل الوثنية المجاورة اليهم فأنخاصم الالهالى الا وتداخل
 الفولبوسيون أما الجهات التي اجتمعت فيها قلوب الوثنيين وخفت وطأة
 الشقاق لديهم فلا يدخلون بينهم بدينهم وسياستهم الا بالعناء ويتوصلون
 الى غرضهم في الغالب عند ما ترتكب جريمة قتل أو سلب حيث يوجد قوم
 من المسلمين لانهم يرسلون اليهم الكتاب لتقتص منهم وبذلك ينتشر دينهم
 وتعلو كلمتهم ومهما تنوعت أسباب تداخلهم فان طريقة سياستهم تدل على
 حذق واقتدار فيها ومرجعها الى مبدأ الحماية الذي توصلوا الى وضعه بين الامم
 الممجة كما رواه موسيو (مستر) فمن احتضى بهم فقد أمن ومن خرج عن
 طاعتهم أصبح مهددا ومتى احتمت بهم قبيلة ذهب رؤساؤها الى ملوك
 الاسلام في السودان فيولونهم المناصب ويلبسونهم الخلع ويردونهم الى أوطانهم
 يحكمون فيها باسم سلاطين المسلمين وتحت رعايتهم فان كانت القبيلة او القرية
 عظيمة أرسل السلطان اليها رسولا من قبله ليلاحظ حكومتها بالنيابة عنه
 والسفراء كلهم من الخواصة يكونون بجانب الحكام مستشارين ذوى كلمة
 ونفوذ ومعارفهم وما تملأوه من الاحكام بالقرآن تؤهلهم الى القضاء لمنفعة
 اللاجئين اليهم وهم كالمعلم يجتمع حوله التجار الوافدون من السودان وقد يتفق
 ان بعض القبائل الوثنية لا تخضع من أول ظهور الفولبوسيين بينهم هنالك

تسطو عليهم قبائلهم فتسلب منهم وتأخذ أبناء الرؤساء فتبعث بهم الى السودان حيث يتربون على مبادئهم ومبادئ الخواصة ويعد زمن يرجعونهم الى بلادهم فيقومون فيها كنواب عنهم مثل الحكام الذين ترسلهم الممالك الاوروباوية في مستعمراتها وفي تلك الاثناء ينتشر الاسلام بمجرد الاختلاط والمعاشرة وحب التقليد بدون أدنى اكراه ولا تعيين رسل أو مبشرين اذ بمجرد أن يشتري الوثني خرقة القطن من أحد الخواصة ويستر بها عورته يأخذ في تقليد البائع في الصلاة كالقردة ويتمسر ببيان اللحظة التي يسير فيها مسلماً حقيقياً لان اسلامه يأتيه تدريجاً ومتى كثر عدد المسلمين في بلد أقام فيها الفولبوسيون مدارس يتولى الخواصة التعليم فيها ولكنهم لا يتدخلون في نشر الاسلام مباشرة بين البقية بل يتركون ذلك للخواصة أو للاهالي أنفسهم.

ونذكر من الوسائل الناجحة في يد الفولبوسيين لانتشار الاسلام الزواج فان سلاطين السودان يتزوجون من العائلات الوثنية لهذه الغاية ولا تمكث النساء وأولادهن حتى يصير الكل من أقوى الاسباب على انتشار الدين الاسلامي وقد أشار موسيو (رونان) الى ذلك في بعض كتبه حيث يقول (من الصعب أن يصم المرء أذنه اذا تقدمت اليه النساء والاطفال ومد كل يديه اليه وطلب منه ان يعتقد بمن نعتقد) على ان الزواج هو السبب في وجود أنصار الاسلام الاولين وكثيرا ما تزوج النبي لخدمة دينه لالشهوة في نفسه فقد صرح بان الله أباح له الجمع بين عشرة نساء خلافاً لما فرضه لجميع المسلمين وهو اختصاص تدرك غايته لمن تأمل في الامور لانه كان معصوماً عن النساء حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره وتزوج بالسيدة خديجة بعد وفاة زوجها الاول وقضى خمسة وعشرين سنة بعد ذلك مع هذه الزوجة وكانت تلده ولم يعمل الى ما أباحته العرب قبل الاسلام وأباحه القرآن بعد ذلك من تعدد الزوجات ولم يتسرى ثم توفيت خديجة سنة ٦١٩ وعاش بعدها اثنتي عشرة سنة.

تزوج في خلالها بعشر نساء ليس بيهن الا اثنتين كانتا بكرًا والباقيات مطلقات أو متملات قال (رولان) ان كثرة زواج النبي كانت ليزيد في نشر أو هامه وهو قول يقصد به قائله القدح ولكنه حجة على ان النبي لم يكن في تعدد الزوجات شهويًا .

هذه هي أهم الأسباب في انتشار الاسلام ولست أدري ان كانت تكفي لادراك سر هذا الدين في انتشاره أو انه يجب البحث معها عن أسباب سماوية غير ان الاسلام خرج من ذرية اسماعيل وسرى في الارض كما خرجت المسيحية من ذرية اسحاق وقد بارك الله في أبناء الخادمة كما بارك في أبناء السيدة ونحن نعلم ان يهوذا قال لابراهيم عن اسماعيل انه سيبارك فيه ويكثر من نسله كثيرا وكرر له ذلك بقوله انه سيبارك له في ابن الخادمة فتخرج من صلبه أمة كبرى لكونه من أولادك وأعاد يهوذا هذه البشرى مرة ثالثة لوالدة ذلك الطفل الذي نجا في الصحراء حيث رمي لموت عطشاً وقصة ظهور الملك الى هاجر من اجل الروايات ووصف بادية الظماء ولطف الام على ولدها من ألطف ما يقال (نضب الماء في الزق ورمت هاجر الطفل تحت شجرة وابتعدت قليلا ثم جلست امامه على مسافة مرمى النبل وقالت لست أصبر أن أرى ابني يموت ثم رفعت صوتها بالبكاء وقد كان بكاء الطفل قد سبقها الى السماء فناجاها الملك من قبل الله مالك يا هاجر لا تخافى فقد سمع الرب صوت الطفل من المكان الذى وضعتيه فيه فقومى وساعديه على القيام وليشتد ساعدك على حمله فسيكون من ذريته أمة كبرى)

ولقد ارتعشت يدي عند ما مددتها لازيل الغطاء عن الكتاب المقدس كي أنقل الآيات التي سطرتها ولولا ما قاله الاب بروغلي من أن تقدم الاسلام أمر مندرج تحت ما بشر به أبوا المؤمنين لما تجرأت أن أطبق تلك الآيات على الاسلام ولا ذهبت الى ان في انتشار هذا الدين سرا من الاسرار الربانية

الفصل السابع

الاسلام في الجزائر

استعصاء المساميين على التنصر — المبشرون بغير رسالة —
 جمعيات الدين في الاسلام — غرض تلك الجمعيات
 تحول الهيئة في المسلمين — التقليد — التوراة

شاهدنا الاسلام يبرهن على قوته وحياته باكتساب الوثنيين في أواسط
 أفريقيا وتجنيدهم تحت راية القرآن وله كذلك في الشمال الشرقي من بلاد
 الزنج وفي مصر العليا (السودان) وفي (سريناق) ما يدل على قوته الغربية
 وسيره المدهش اذ قامت مملكتان قويتان مملكة المهدي ومملكة امام جغبوب
 منذ خمسين سنة على هيئة حكومات تشخص الحكومة الدينية التي ارادها
 النبي | الاسلامي كذلك توجد في الزاوية المقابلة لهاتين المملكتين مملكة ثالثة
 في شمال أفريقيا وهي على نسقهما ولا تزال تقاوم هجمات الديانة المسيحية
 ظافرة عليهم ونعني بها مملكة مراکش ولا شك في ان سلطانها مع ما عليه
 بعض العشائر التي تسكن البلاد الخاضعة لحكمه من عدم الازعان تماماً لسلطته
 سيكون اذا أملت بتلك الاقطار المحن حامي حوزة الدين الاسلامي في الغرب
 بأجمعه ونحن نترك البحث في حال هاتيك الممالك الاسلامية التي اجتمعت
 فيها السلطة الدينية والسلطة السياسية في يد حاكم واحد طبقاً لقواعد القرآن
 وهي البلاد الممتازة التي حفظ الموحدون في مكة لها اسم دار السلام وهو
 الاسم الذي تميل اليه نفس مصر وتركيا على غير جدوى حيث التمدن الغربي

قد كدر صفاء المذهب الاصلى وتقتصر على الاسلام فى الجزائر وفى ممالكنا
 الافريقية حيث يزاحمه الدين المسيحى والحكومة المسيحية وهى البلاد التى
 سماها المسلمون دار الحرب أى دار الجهاد فى الاسلام والبحث عن الاسلام
 فيها يدور على ثلاث مسائل . هل أحدث الانجيل تغييرا فى القرآن وذا فرضنا
 ان الاسلام لم يزل محفوظاً هل حصل تقرب بين المسلمين والمسيحيين يرجى
 معه حصول الامتزاج التام فى المستقبل وهل الجهاد أعنى خروج المسلمين
 عن طاعة حكامهم المسيحيين لا يزال أمراً منتظراً يهدد فتح هاتيك الاقطار
 فاما الاسلام فليس من أهله من يمرق عنه الى غيره وبعيد عن فكر
 المسلمين تصور هذا الامر حتى انهم لا يجدون لفظاً يعبرون به عن صفات من
 يأتيه كما انهم تحيروا فى وصف المسلمين الذين تجنسوا بالجنسية الفرنساوية لان
 فيها معنى من معانى الردة ولذلك اضطروا الى استعمال لفظ من ألفاظ اللغة
 الفرنساوية ليطلقوه اسما عليهم فقالوا (متورنى) باسكان الميم وضم التا
 ومعناه المنقلبون

ومن الصعب أن يكيف الانسان حالة مسلم يريد أحد المسيحيين ان ينصر
 حتى لو شبهناه بمسيحى متورنى ويثنى أن يميل به الى عبادة الاصنام لكان
 التشبيه ناقصاً والسبب فى استعصاء المسلم على الدين النصرانية استعصاء قوياً
 هو احتقاره النصرارى واعجابه كل الاعجاب بكونه من الموحدين وقد يعتقد
 بعضهم ان فضل دينهم يفوق على النصرانية بدرجات يستحيل معها على المسيحيين
 أن لا يوقنوا بصحة الاسلام حتى انهم يتخذون مسالمتنا اعترافاً ضمناً منا
 بتلك الافضلية ولانهم انما يعبدون الله تعبدًا ذهنيًا وليس لدينهم من علامات
 أو معدات خارجية ويرون فى اختلافات النصرارى ضرباً من ضروب العبادة
 الوثنية ويسمون أرباب الانجيل أهل الكتاب ولكنهم لا يجعلونهم فى الرتبة
 التى تلى رتبة المسلمين بل كثير منهم يمتقونهم أكثر من مقت الوثنيين

لكنهم غيروا ما أنزل الله عليهم من الدين بعد ما علموه
 تلك هي أفكار المسلمين في الديانة المسيحية وبديهي أنها مانع حصين
 يحول بين النصرانية وبين التقدم فلقد نجح المرسلون في تنصير الأمم المختلفة
 التي انتشروا فيها سواء كانت متبربرة أو متمدنة ولكنهم لم يروا في طريقهم
 بلدا قام في وجههم وسدت عليهم فيه جميع أبواب الفتح كما لا قوام للمسلمين
 لأننا شاهدنا الوثنيين المتمدنين توكلوا دينهم الهمجى لعدم موافقته لما وصلت
 إليه عقولهم من التهذيب وكان لهم من تهذيبهم معين على تلقى المقولات
 المحضة فسهل ذلك على المسلمين عرض مذهبهم بطريق التقرير المنطقي وتمكنوا
 من اقناعهم حتي ان القديس بولس نفسه كان يلاقي كثيرا من الوثنيين الذين
 يتركزون آلهتهم لتبينهم كذبها ويرى من بعض اليونان ميلا الى أخذ الامور
 بالدليل والبرهان وقد سهل أيضا تنصير الوثنيين المتبربرين بما للمرسلين عليهم
 من المزية في العلم والافضالية في سمو الادراك ولكن أى مرسل وأى خير
 يمكنه أبدا أن يزحزح المسلم عن تمسكه بدينه ويجعله يعبد ما احتقر ويحتقر
 ذلك الدين المتين الذي يرى فيه مجده الاعلى وكيف يمكن لأولئك المرسلين
 أن يزيلوا من فكره ما تمكن منه ضد الديانة المسيحية الى الابد وهو لا يقبل
 المناظرة فيها ولا يطبق الجدل عليها :

ولقد تساءلوا عن امكان محاربة الاسلام بالعنف والقوة حيث هو لا يقبل
 التبديل بالاقناع والحجة ولكنه ما كان يتيسر للفرنساويين أيام الفتح أن
 يخضعوا المسلمين للدين المسيحى كما فعل الملك شارلمان بل اضطرت الكنيسة
 الى السكون كما التزمت جانب المسالمة في هذه الايام بين الأمم والمسالمة حكما
 منها ولكنها لا تقبلها بصفة مبدأ من مبادئ الدين المسيحى بل تردّها
 هكذا كان محظورا علينا كل قهر في الدين طبقا لمعاهدة الجزائر حيث التزمت
 فيها الحكومة الفرنسية بواسطة الجنرال (بورهون) أن تحافظ على ديانة

رعايها من العرب وتحترمها وقد كاد أن يحصل استيلاء سنة ١٨٦٨ ذلك ان
أسف الجزائر أخذته الحمية وأراد أن ينصر عدداً كبيراً من المسلمين فجمع
كثيراً من اليتامى بعد الفحط المهلك الذي ابتليت به الجزائر وعمدهم ولكن
الجنرال (مكاهون) حاكم البلاد اذ ذاك تداخل وأبطل هذا المسمى لخالفته
لما تعهدت به فرنسا ومن عجائب المتناقضات ان في الجزائر الآن من الكتاب
من يأسف على ترك تلك الطريقة ولو انهم كانوا في عاصمة بلادهم لاصطفوا بين
أشد الناس دفاعاً عن حرية الاديان فكلهم يرجون حكومة تسعى في تفريق
الاديان بالهدايا وبذل الاموال من جهة وتضطهد المسلمين الموحدين في دينهم
من جهة أخرى ولو انه قام في مبدأ الفتح قس ماهر وساعده أمير يعيىل الى
انتشار الدين المسيحى من نفسه أو بتأثير النساء عليه فجمع ذلك القس اليه
كل ساخط على الحكمة والحال الجديد ووعدهم بالمال وعزة الجاه لكان لنا
سنة ١٨٧٠ آلاف مؤلفة من العرب قد تركوا دينهم وتربو تربية فرنسوية حقة
فاستعصاء المسلمين على التنصر بواسطة المرسلين واستحالة اخضاعهم بقوة
هما السببان اللذان يعترضان تنصرهم والمرسلون من الكاثوليك هم أول المسترفين
بوجوب العدول عن الوعظ مباشرة ولكنهم مع ذلك متمسكون برسالتهم فلم
يملوا من الجهاد في سبيلها ولم تنحط عزائمهم امام صلاة الاسلام فأينما نزلوا
مهدوا الطريق وآووا الفقراء والمساكين وأقاموا في خدمة المرضى ونشروا
التعليم بين الاطفال قال موسيو (سريفاريا) ولكنهم لم يحوموا حول مسألة
الدين مطلقاً وهم انما يزرعون البعد عن الدين مع كونهم من الاحبار على انهم
لم ينجحوا في ادخال الدين بين العرب فقد كانوا من أحسن الوسائل لنشر نفوذ
الدولة الفرنسية والحكومة مخطئة في عدم حمايتهم والمجافاة في معاملتهم مع
انهم قصروا حياتهم على خدمة الدين ومع ذلك فقد خالفوا ضمائرهم وعملوا على
ما فيه منفعة فرنسا تركا لما لا يستطيع ولا ت حين زمان إصلاح ما فات فقد

انتشر المرسلون من الانكليز البروتستانت بين القبائل وجعلوا يخلصون ظل سيادتنا هنالك ترسل الدولة البريطانية التوراة تحملها الرعاة الى تلك البلاد التي فتحها جنودنا مرات متتابعة كما ترسلهم في جميع ارجاء المسكونة وعلى الخصوص حيث تخشى تقدم النفوذ الفرنسي

ولقد بقي الاسلام سليماً على التمام في الجزائر الا ان الاسلام لاحظ كونه محكوماً بمن لا يعتقد بدينه فأخفى في نفسه ما يضره له من البغض والاحتقار ولولا ان قوماً من أصحاب الدين يحركون على الدوام في قلبه عاطفة الايمان لصح الامل بضعف اسلامه مع مرور الايام ولولئك القوم جميعات سرية تعمل دائماً على تجديد الدين الاسلامي بين جميع الموحدين وعلى الخصوص بين الامم التي أخضعها المسيحيون

ومن المعلوم ان فتوح العرب وحكومة المغاربة في اسبانيا بعده جمعت بين أفريقيا وأوروبا زمناً طويلاً ولكن انتهى الامر بان يزوي الاسلام الى ما بعد بوغاز جبل طارق وانقطعت الصلة بين القارتين بطرد المغاربة سنة ١٦٠٩ وشخص الناس الى بلاد الغرب كأنها ملجأ للقرآن منيع لا تصل اليه الاطماع وأرض بعيدة عن الاختلاط بالمسيحيين واعتقدوا بان الدين الاسلامي يصير كانه في بلاد عرب جديدة يزاوله الناس على صفائه القديم فلما فتحت فرنسا بلاد الجزائر انتهكت حرمة الاسلام ورجعت الصلات ثانية بين أفريقيا الاسلامية وأوروبا المسيحية وانفتح الباب في ممالك الغرب الى عدو أشد وقمراً على القرآن من الجنود المجندة وهو التمدن الحالى ففطن المسلمون الى ما أهدق بهم من الاخطار وأرادوا تمكين الجامعة وتوحيد الروابط بينهم وهم عند المسلمين أشد قوة منها لدى غيرهم من الامم التي تدين بدين واحد لان القرآن شريعة دينية وقانون مدنى وسياسى ومن ذلك وجدت حركة في النفوس غايتها مقاومة النصرانية بجميع الوسائل الممكنة وعلى الخصوص مغالبة التمدن

الجديد باسم الايمان قال القائد (رين) وتأتى قوة هذه الحركة الاسلامية س
تعدد الطوائف الدينية التى وجدت من أول هذا القرن وعظم شأنها فى جميع
الانحاء وصار لها تأثير شديد فى قلوب الناس ولهم رسل ومريدون يطوفون
البلاد الاسلامية التى لا حد لها وغير الاسلامية كمبشرين أو مستطيعين أو
قاصدين للحج ويصلون بهذه الكيفية بين الاقطار من مكة الى جنوبي الى
القسطنطينية وبغداد الى فاس وتنبكتو الى القاهرة الى الخرطوم الى زنجبار ثم
كلكتا وجاوه ومنهم التاجر والمنجم وطالب العلم والطبيب والصانع والشحاذ
والسائل والمشعوذ والمشرّد والمجذوب تصنعاً أو المأخوذ على غير شعور منه
برسالته وكلهم يلاقون صدوراً رحيمة ومنزلة كريمة بين المؤمنين الذين يحمونهم
من النوازل ويدروّن عنهم تهجم الحكومات

ونحن لا نريد أن نأتى على تاريخ تلك الطوائف الدينية المنتشرة فى
الاسلام كما فعل القائد (رين) بل نكتفى بالإشارة الى سبب نزاه العلة فى
انتشار هذه الجمعيات فى أيامنا وبعد ذلك نبين المقصد الذى يرمون اليه
فى الجزائر

فأما المشايخ المعروفون عند المسلمين فلا تأثير لهم عليهم لان العبادة
ذهنية أو هى قلبية فلا تحتاج لقوام كما انها لا تحتاج لمساجد أو جوامع ومن
أعجب العجب انه لا درجات فى تلك الجمعية مع انها دينية صرفة فلا يعرف الناس
الا رئيساً واحداً هو الامام أى خليفة النبى فاليه مرجع السلطتين الدينية
والسياسية ومن هنا يسهل على المتأمل معرفة الاضطراب العظيم الذى حصل
فى المسلمين من فتوحات المسيحيين ودخول التمدن الاوروبوى فى بلادهم لان
نتيجة ذلك ضياع السلطة الوحيدة التى يخضع لها الاسلام اذ لم يعد يوجد
الآن امام عام للموحدين نعم ان سلطان القسطنطينية يعتبر نفسه خليفة الرسول
ويتسمى باسم شيخ الاسلام الا ان هذا اللقب فى اسناده اليه لقب تشریف

ليس الا غير معترف به في الولايات الخارجة عن حكمه والدول الاوروبية
 أفزغت جهدها في تحقيره بعوامل التأثير والتذليل التي ألجأت الباب العالي
 اليها فلم تقم تلك الجمعيات بحفظ الروابط بين جميع المسلمين وجمعهم في صعيد
 واحد لا يصبح المسلمون كقطيع عظيم من الماشية بدون راع ومن هنا نعلم ان
 كثرة الطوائف الدينية في الاسلام وكثرة المريدن فيها في هذه الايام ضرورة
 اقتضاها التكاتف على حفظ الدين والتوازن على صيانة الجامعة بين المسلمين
 وقد كانت هذه الضرورة أشد في الجزائر منها في غيرها من البلدان فان
 الفرنسيين أوجدوا فيها جمعية روحانية اسلامية رسمية لمقصدهم لم يدم الا كما
 يدوم الخيال هو التأثير على الاهالي بواسطة الدين ورتبوا لاعضاءها مراتب
 يتقاضونها من الحكومة فكانوا شناعة في عين المسلمين ولو انهم بقوا متوصلوا
 في الغالب الى استمالة بعض الاهالي ولكن الطوائف الدينية الحرة قاومتهم
 وأسقطت مقامهم بين الناس ونجحت في مقصدها تماماً وليس اليوم من كلمة
 تطاع الا اذا كانت صادرة عن أحد رؤساء هاتيك الطوائف وأولئك الرؤساء
 يميلون على الدوام الى الزهد والتشفي ولهم تعبير في القول لا يفهم عمال
 الحكومة منه شيئاً اذا عثروا على بعض الفاظه فهم يدعون الناس تحت طي هذا
 الطلسم الى مقاومة التقدم ومغالبة التمدن بأقصى الجهود ذلك انهم آمنون من
 جهة تنصر المسلمين فهو أمر معدوم كما قدمنا ولذلك أجمعوا أمرهم على مقاومة
 سير التمدن لكونه ربما أدى الى فتور في الاعتقاد عندهم وهم الذين يحبون
 روح احتقار النصرانية في النفوس ويجعلون اجتهادنا في تأليف أهل الجزائر
 واستمالتهم اليها يذهب هباء منثوراً

ومع انتشار الطوائف الاسلامية في الجزائر وقوة تأثيرها فانها لم تتمكن
 من منع تغيير الاهالي من حيث هيشتهم الاجتماعية تغيراً محسوساً والعامل في
 هذا هو الاحتلال الفرنسي كما أشار اليه موسيو (شاثليه) حيث قال تنقسم

ما هالى الجزائر الى ثلاثة اقسام فمنهم الرعاة الرحل واصلهم من العرب ومنهم
الريفيون أصحاب الزراعة وأغلبهم ينتمون الى القبائل ومنهم اخلاط المغاربة
ومنهم المدنيون وهم التجار والصناع وقد حصلوا على شيء من المعرفة الصناعية
وأصلهم مختلط من المغاربة الذين اختلطوا بالأتراك وامتزج فيهم أيضاً دم
العرب والقبائل اهـ

ويختلف تأثير التمدن في الجزائر باختلاف هذه الطبقات الثلاث ولكنه
أحدث في كل قسم منها ميلا الى حالة مدنية جديدة فقد خفف الرحل روحهم
وجيآتهم وصاروا نصف رحل وبعضهم مال الى زراعة الاراضى الخصبة في
مرتفع الوديان ومنخفضات الصحراء وتدرج سكان الارياف الى التخلق
بأخلاق المدنيين وأما هؤلاء فقد تأثروا كثيراً باختلاطهم بأصحاب المعاملات
التجارية ومعاشرتهم لأصحاب الصناعة الأوروبية وتعودهم على الأخذ
والعطاء مع أهالى البلاد الغربية وكثيراً ما أخذ العربى الذى يسكن المدن
عن التمدن الاوروبى ردائله ومعائبه وخالف أوامر القرآن وشرب المسكرات
وهو فى الغالب مفرطاً فى تماطيلها وأكل الاطعمة المحرمة اللحم الخنزير فهو
ينفر منه بأصل فطرته ومع ذلك فهو لا يزال يحافظ تمام المحافظة على بعض
أوامر الكتاب كصوم رمضان حتى ان الباغيات يضمن فى أما كن فحشهن
ومع ذلك كله فان عوامل التمدن لم تتمكن من اضعاف الاعتقاد فى قلب
مسلم وان زحزحته قليلا عن المحافظة على جميع أوامر القرآن بل لا يزال
الايمان عندهم تاماً كاملاً خلافاً لما يراه موسيو (شاتليه) فانه يحسب ان عدد
المسلمين الذين لا يؤمنون ولا يقيمون القروض يزداد كل يوم فى مدن الجزائر
وعندنا ان هذا القول صحيح بالنظر لترك الواجبات ولكننا نراد مخالفاً للواقع
من جهة ضعف الاعتقادات فما من مسلم صار غير مقيد فى الاعتقاد بل يجوز
انه أهمل جميع الواجبات ولكن اعتقاده لم يتحول وصحيح فى الاسلام انه

يبقى الرجل مسلماً وهو لا يعمل بما يعليه عليه القرآن
ولعمري لست أدري ان كان هذا التغيير على نحو ما شرحناه عنوان
تقدم في أهل الجزائر وانه رفع من أخلاقهم وزاد في رغد عيشهم وعلى
الخصوص قتل من بغضهم للمسيحيين . أنا لا أظن ذلك فاني وان سلمت بان
بعض قبائل البدو الرحل مالوا الى الزراعة ولكني لا أرى في انتقلهم من
البدوة الى الزراعة ومن الزراعة الى سكنى المدن والامصار موجباً لتهديب
الاخلاق ورفع درجة الآداب لان معيشة القبائل على حالتهم الفطرية مهما
كان فيها من النقص هي أشد احتفاظاً على الاخلاق وأعظم باعث في التمسك
باصول الادب فليس من سلام على النفوس الا معيشة الرجل بين أهله بعيداً
عن المدن وما حوته فالمعيشة في الصحراء ناشفة يابسة ولكن ما ضمته الخيام
ليس عرضة للتبدد والضياع أما اذا سكن العربي في المدينة خصوصاً المدن
الاوروبوية فانه يكون على مقربة من دواعي اللهو وتزداد حاجاته ويطلب
القهوة والحلوى وتميل امرأته الى الملابس القطنية ويده لا تقوى على سدهذه
المطالب كلها فيعيش في ضجر مادي ينشأ عنه ألم أدبي ولقد شوهد كثيراً
ان الضنك يشتد على القبائل بقدر تقربها من المدن الاوروبوية فأول القبائل
التي خضعت لحكم الفاتحين واختلطت بأقوامهم كانت أول القبائل التي لحقها
الدمار وأباده الاندثار وانحطاط المدني أدبياً هو السبب في احتقاره من
ساكن البادية أكثر من حالته السيئة التي يعيش فيها . وليس لفرنسا ثمرة
تجنيتها من انحطاط رعاياها المسلمين في الجزائر أدبياً ومادياً ولهذا ترى الحكومة
بحث عن مداواة هذا الداء وأرادت تهذيبهم فأوجدت التعليم الفرنسي
عندهم وأنشأت مدارس للتعليم الابتدائي وأخرى للتعليم الثانوي ومدارس
للصنائع ولكنها ما كانت لتنجح في هذا المسعى لانه مهما حسنت نوايا المسيحيين
لا يأمنون من حبوط مساعيهم في تمدن الاهالي وان شئت قل ان كل أمر

يأتى على أيديهم بمقوت ومزدول لذلك كان التعليم الفرنساوى معيبا من الأصل ولم ينبج في شيء حتى ولم يقلل من نفور الاهالى نحونا واليك ما قاله أحد أعضاء جمعية التعليم موسيو (شارفريا) فى هذا المعنى (اذا أردت أن تعرف مقدار بغض الاهالى لنا فانظر الى درجة تعليمهم الفرنساوى فكلاما زاد تعليمهم وجب الحذر منهم) وقد مكثت زمنا طويلا أقاوم هذه الحقيقة التى توجب اليأس وتقطع الرجاء ولم أرجع عن رأيي الا لما رأيت جميع من شاورتهم فيها متفقين على تقريرها)

وقد قال حاكم الجزائر نفسه موسيو (ترمان) فى مجلس الادارة الاعلى سنة ١٨٨٦ (لقد دلتنا التجارب على أن أكثر الناس عدااء لنا هم أولئك الذين علمناهم كثيرا) على أن الحكومة نفسها قد اعترفت بعجزها عن تحويل الجزائريين الى فرنسيين بواسطة التعليم الفرنساوى ولم تتمكن من احياء التعليم العربى وان أكثر من فتح المدارس كما ان جميع الصنائع والحرف الاهلية قد اندثرت على مقربة من مدارسها الصناعية والفنية التى أنشأتها . والذى نستنتجه من هذه التجارب التى لم تجد تقعا هو أن مسألة التقريب بين العنصرين الاوروبى والاهلى لا يمكن حلها بمعرفة الحكومة لان يد الادارة يد ثقيلة لا تصلح لعمل لطيف مثل هذا وحدة الموظفين مانعة من التبصر فلا صبر لهم على انتظار الثمرة الصغيرة زمنا مديدا وبالجملة فان كل وسيلة تتخذ فى سبيل التقريب الذى نبحث فيه رديئة نعم قد يحو الدهر بعض المتناقضات ويولد بعض المتشابهات ولكن لن يحصل اتحاد تام بين العنصرين مدى الابد وكما من أوهم توهمها الناس فى مسألة الجزائر يضحكننا اليوم تذكرا بعضها كالكاذب تخيله موسيو (دولانجل) أيام كتب تقريره على مشروع استشارة الامة سنة ١٨٦٥ حيث ذكر فيه هذه الجملة (ولم يبق الا زمن يسير حتى تفتخر الامة التى بلغت عواطف الشرف فيها الدرجة القصوى بالاشتراك فى أعمال

الامة الفرنسية التي لها في العالمين مقام رفيع) ومن الخيال أيضاً ما ذهب اليه
مسيو (لوروا بوليو) من امكان التوصل لجعل العرب رعية صادقة من المخلصين
في الولاء فستغرب أن يفكر أولئك القوم في رجاء هذه القوائد من الجزائر
وفي أن يصل أهلوها الى تقرب بحملهم يوماً من الايام على حب الوطن الفرنسي
ولو صح هذا لكان أمراً خارقاً للعادة لم يسبق له مثيل في التاريخ فانا نعلم أن
اختلاط العنصرين ببعضهما دام تسعة قرون في بلاد الاندلس من سنة ٧١٠
الى سنة ١٦٠٠ ولم نشاهد مع ذلك أن وطن الغالب صار وطناً للمغلوب ومع
ذلك فالوهم عندنا متسلطن في أن نطالب الجزائريين بما نطالب به الفرنسيين
من الولاء والاخلاص

اتفق سنة ١٨٨١ أنه في مبدأ ثورة أبي عمامة قام أحد القواد وكان من
أشدّهم موالاة لنا وتوجه برجاله الى جنوب ولاية حوران لقتال المذشقين فلما
رجع علم بأن قبيلة خرجت عن الطاعة ورفعت خيامها ورحلت بنسائها وأولادها
وماشيتها فذهب الى مراکش في طلبها وعاد بها بعد سنة من الزمان وأقنعها
بوجوب الطاعة والخضوع فأحيل الى المحاكمة أمام مجلس عسكري بحجة أن
خان الدولة الفرنسية . وفي الواقع أنه لم يخلص لنا الود اذ كان يلزمه على رأيهم
أن يترك لنا مائلته وأملاكه ولكننا نعلم أن كثيراً من الفرنسيين لا يودون
أن يكون مثل هذا الطلب محكاً لوطنيهم ومعياراً لمعرفة صدقهم لبلادهم

ولسنا نود ذكر جميع الخيالات التي تصورها الباحثون في طريقة التقريب
لان ذلك شرح يطول فمنهم من ذهب به الاحلام الى تصور الجزائر أهلة
بعرب يلبسون القبعة ويلتحفون السترة الصغيرة (جكيتيه) وقد نسوا لغة
الوحى المقدسة وجعلوا يتلون القرآت بلغة الفرنسيين نقلاً عن ترجمة
(كزيميرسكي) ورأينا أن البون يبقى شاسعاً بين المسلم والمسيحي وان من
السعود أن تقرب الشقة بين الاوربي والعربي وان هذا التقرب يحصل من

نفسه وهو ينشأ من التجاء المستعمرين الفرنسيين إلى العرب في حرث الأرض
وغرسها ولو أن المستعمرين يعاملون العرب برفق ولين ويقسطون معهم لا فادوا
في هذا السبيل أكثر مما أفادت اللوائح والقوانين إذ لست أدرى لم أن الرجل
منهم يكون في باريس من الأحرار المتطرفين فإذا جاء الجزائر بزعت نفسه إلى
أحياء أشد الأزمان في حكم الشرفاء تعسفاً واجحافاً وعندى أن أليق الناس
بالعمل المطلوب هم المرسلون لا الكاثوليك فلا تترقى الأهالي في معارج المدنية
مع بقائهم على دينهم إلا بهم نعم أن الترقى يكون بطيئاً ولكنه يصح أن يسمى
تقدماً ودليلنا على ما نقول حالة القبائل التي توطئها المرسلون فإنهم توصلوا
مع أهلها إلى درجة عظمى

مضى على الإسلام في الجزائر نصف قرن لم يؤثر فيه الاحتلال الفرنسي
كذلك تفانت أمواج التمدن الأوروبية تحت أقدام مقاومة الطوائف الدينية
في تلك البلاد ولو أن تلك الطوائف تعرف من نفسها اقتداراً على قذفنا في
البحر لتقيم بعدنا مملكة إسلامية جامعة (أى بين السلطة الدينية والسلطة
السياسية) لاقتحمت الأخطار وقلبت الحكومة المسيحية ولكنهم يرون
الغرض بعيداً لذلك هم يقصرون مساعيهم على أحياء روح البغضاء في نفوس
تابعيهم مما يكفي لتزكيتهم غالباً تلاوة بعض الجمل التي ملئت سخطاً على النصارى
على أن جميع رؤساء الطوائف المذكورة ليسوا واحداً في مقاومة التمدن الغربى
بل يخذو بعضهم خذو من يضع الشرع ليمتقيد به غيره ويستفيد من مكشفات
ذلك التمدن التي حرموها على المرابطين وأكبر الطوائف وأشدّها تمسكاً بمبادئهم
هى طائفة السنوسية وهى التى يخشى منها أكثر من غيرها ولها شيخ ذو دها
ينظر إليه البعض كجامع وحدة الإسلام وهو رجل رأى أنه يضعف عن مقاومة
الحكومة الفرنسية في الجزائر مقاومة صريحة فعدل عن فتح الجزائر إلى
فتح أرض غيرها للإسلام وعلم سيدى السنوسى ما أحزن المسلمين من حكم

مسيحيين كما علم موسى الذي نجاه الله مما أصاب قومه من فرعون وأراد خلاصهم من يد الكفار وأن يقودهم من دار الحرب الى دار السلام فناداهم أن اخرجوا من دياركم ان أرض الله واسعة الفضاء وانتقل الى أرض فسيحة الجوانب خالية من السكان فلحق به كل مسلم لا يرى له بقاء مع المسيحيين ويود الهرب من معاشرة الكافرين ولكن ليس في تلك الأرض عسل يجري ولا ضرع يدر كما كان في بلاد الكنعانيين بل هي صحراء ليبيا الشاسعة التي اختارها السنوسي ليهجر العرب اليها بلاد الجزائر وتونس وطرابلس ومصر والبوسفور ذى الرياض والمناظر ومع ذلك فالنداء يلبي كل يوم من جميع بلاد الاسلام ويقيم الواردون في تلك الرمال من غير سخط ولا ضجر كما ترك بنو اسرائيل مصر في غابر الازمان وما منهم من يأسف على الكسكو الذي كان يأكله بنهمة تحت حكم الذي كفر وقد أخذت الصحراء تتحول بأعمال المهاجرين ففيها اليوم آبار ونخيل ومثلهم في ذلك مثل قبائل العباديين الذين هاجروا الى (مازاب) في الصحراء وعمروها

وفي اجتماع المسلمين الذين لم يرضهم حكمنا حول جفوب خطر أشار اليه وكلاؤنا في طرابلس ومن الواجب على الدول الاوروپاوية أن تأخذ حذرهما منه أما الجزائر فهي ترى فيهم عدوا لها وما دام الامر بالنظر اليها دائرا بين عدوين فهي تفضل بعد أولئك القوم لانها تكون يبعدهم عنها آمنة مطمئنة من أعمال قوم معتصبين ومع هذا لو قدر لفرنسا أنها احتاجت في أحدحروبها الاوربية الى الاستعانة بجيوشها الافريقية وانهزت إحدى الدول ضعفها في افريقيا فحركات ضد حكومة المسيحيين طائفة السنوسي والطوائف الاخرى فانه يخشى من حدوث ثورة تسوء عقباها في الجزائر ولكننا نرى في هذه الحالة وهي أسوأ حال يمكن تصورها بالنسبة الى الحكومة الفرنسية ان انشاق الرؤساء وأحقاد الطوائف تمنع الثورة من أن تمتد الى جميع أرجاء

البلاد فالتفوضى علة الاسلام الباطنية وهى أيضاً فى الغالب علة الضعف عند جميع ولد سام فان اسماعيل يضرب خيامه على الدوام تجاه مضارب اخوته ولولا الانقسام الداخلى والاضطرابات التى حدثت بين المسلمين فى غابر الازمان لما نجت النصرانية . وهذه الاسباب نفسها تضعف العزيمة عن القيام بتوحيد كلمة الاسلام ولولاها لما حفظت فرنسا أملاكها مع ما ارتكبته من الخطأ وما تأتته من الاغلاط فى افريقيا الشمالية وهى أملاك ستبلغ بمقتضى النمو الطبيعى عما قليل عشرين مليوناً من المسلمين

والخلاصة أنه لا يخشى من ثورة عامة فى الجزائر ولكن لاتزال تلك البلاد معرضة للقلقل الثانوى وتنشأ هذه الاضطرابات بغير المؤثرات الدينية فكثيراً ما تنور القبائل من نفسها ورغماً عن نصائح الرؤساء ومشايخ الطرق لانهم واقفون تمام الوقوف على ما نحن عليه من الاقتدار فى كبح جماحهم ولذلك فهم لا يرمون الى حركة عاقبتها وبال عليهم وعلى التابعين لطوائفهم بل ان أكبر أسباب الثورة فى الجنوب رغبة رؤساء القبائل فى استرجاع امتيازاتهم لانهم من بقايا أولئك القوم الذين سادوا قديماً فى البلاد وفى جهة التل ضنك الاهالى وخطأ الموظفين فى اجراء مقتضى بعض اللوائح والقوانين ومع ذلك كله فانا نرى أن كل ثورة بدأت لا تلبث أن يعزوها أصحابها الى مصدر دينى فينادون بالحرب المقدسة كما ينادون بأحد الرؤساء الدينيين ذوى النفوذ قائداً حاماً لحركتهم وان عارض وأبى . ومن عادة تلك الحركات أنها تبدأ قليلة الاهمية ولكنها تعظم ويكبر شرها بخطأ الموكلين فى إخمادها ولو أن الحكومة لاحظت جانب العدل والحكمة فى ادارة الاهالى وألفت الامتيازات القديمة التى لرؤساء القبائل تماماً واختطت السكك الحديدية فى جنوب البلاد وأصلحت من نظام الجيش لقلت حركات الثورة فى بلاد الجزائر وهدأ المسلمون من شواطئ البحر الابيض المتوسط الى شواطئ نهر النيجر

(خاتمة)

والذى نستخلصه مما تقدم أنه يجب على الدول الأوروبية التى تميل الى التوسع فى الاستعمار أن تتعرف ديانة رعاياها أو أصدقائها المسلمين كما ينبغى اذ الدول لا تزال حتى الساعة على اعتقادها الذى كانت عليه أيام القرون الوسطى وهو أن الاسلام صورة من صور الديانة الوثنية اللهم إلا نفرأ قليلا من المستشرقين الذين لا تأثير لأرائهم فى السياسة مع انه لو جاز عقلا أن ترتب الديانات التى دانت بها المخلوقات لوجب جعل الاسلام أولها بعد ديانة التثليث لأنها أي الديانة المسيحية بلا شك أرفع منه من جهة المعقولات فلا يجوز للمسيحيين أن يرموا الاسلام بالوثنية على ما بينه وبين النصرانية من جهات الاتفاق حتى صح (لحناماسين) أن يقول انه بدعة مسيحية نعم لا يقول المسلمون بالوهية ابن مريم ولكنهم يجعلونه كأكبر الانبياء (اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) ويعترفون بان مولده من المعجزات (واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك لا هب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجمله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلان أكلم اليوم أنسيا فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هرون ما كان أبوك أمرا سوء وما

أمك يغيا فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً قال اني
 الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة
 والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيماً والسلام على يوم
 ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه
 يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمراً فانما يقول له كن
 فيكون (كذلك يعتقدون أن جبريل هو الملك الذي نزل بهذه البشري كما
 أنه هو صاحب الوحي بالقرآن ويكرهون اليهود لانهم اضطهدوا المسيح وأراد
 أن يقتلوه ولا يعتقدون موته كما تدل عليه آية (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى
 ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا
 فيه لني شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه
 وكان الله عزيزاً حكيم) وقد التفت الامير عبد القادر الجزائري الى ما يوجد
 بين الدينين من التقارب فخال له امكان التوفيق بينهما وكان من ذوى المدارك
 السامية قال لو أصغى الى المسلمون والمسيحيون لأزلت من بينهم موجبات
 التنافر ولأصبحوا اخواناً في الظاهر والباطن وكان يشبه الانبياء الثلاثة الذين
 قالوا بوحدة واجب الوجود بثلاثة أخوة من أمهات متفرقة (راجع كتابه
 نداء الغافلين) ولكننا لا نتمنى النفس بتحقيق ما خطر ببال ذلك الامير فان
 الاحقاد التي تتولد بين أعضاء العائلة هي التي لا مرد لها والتشابه بين بعض
 القواعد لا يسد ذلك الخرق العظيم الذي انفرج بين المسلمين فقد
 يجوز أن يقلع المسيحيون عن تجهاتهم للاسلام ويعترفون بانه دين قريب من
 دينهم ولكن المسلمين لن يقبلوا أن يكون معنى التثليث غير تعدد الآلهة
 ولا يعتقدون بان خطأ آدم هو رأس خطايا بنيه وانه السبب في ذنوبهم ولا
 يقولون بان المسيح تجسم في صورة الانسان ولا بانه افتدى النوع البشري
 بنفسه ويقول جميع علماء التوحيد عندهم أن جعل المسيح ابن الله لا فائدة فيه

ان كان الوالد والولد الهأ واحداً ومتناقض ان كان كل إلهاً قائماً بذاته على أن علماء اللاهوت من المسيحيين مختلفون فيما اذا كان التجسم يحصل لولا خطيئة آدم كذلك . لا ينبغي لنا أن نعلق الآمال بالوصول الى تحول رعايانا المسلمين في الجزائر الى فرنساويين بل يجب علينا نجتهد في أن نعيش معهم على ما يلزم من المساواة والمواذعة وهو حل سهل بسيط لست أدري لم أهمله الباحثون وقل الاقبال عليه كما أنني لم أقف على السبب الذي دعاهم الى الحكم بأنه ليس لمسلم الجزائر الا أن يتحول أو أن يفنى وفي الواقع أن فرنساويين يفرحون بالتحول لكونه يلائم ميلهم الى ايجاد الوحدة في كل شيء فكل موظف من فرنساويين يحلم ان تصير مدينة الجزائر مثل باريس مع ما هي عليه من اختلاف أرضها ومناخها وسكانها ولذا اعتادوا على ان يعدوا من التقدم صيرورة بعض القرى مختلطة وتحولها بعد ذلك الى بلاد لا فرق بينها وبين البلاد في فرنسا وهي ملاحظات تافهة تمنع الناس من الوقوف على حاجات الجزائر الحقيقية أما منح الجنسية الفرنسية لفرنساوية للاهالي فانه لا يفيد الا في بعض الشؤون الادارية المحضة ذلك لانه يوجب بعض تغيير في الصورة ويسمح للتقارير الرسمية بتجسيم الاعداد ولكنه لا يجعل الجزائريين وطنيين فرنساويين ومع أن معاهدة الجزائر لا تسمح لنا بايجاد جنسيتنا عليهم فنحن لا نفتأ نعرضها كأنها امتياز يختص به قوم دون آخرين وكأننا نظن أن المسلمين يعتبرون من الامتيازات ما يحول بينهم وبين العمل بمقتضى ديانتهم ومع هذا يرى موسيو (روسل) أن في تجنيس الجزائريين بالجنسية الفرنسية حلا للمسألة وان الاختلاط يحصل من الزمن فيتحول السواد الاعظم حتى يصير فرنساوياً وتضييق البلاد على من يخرج عن الجمهور لتغييرها وتحول نزعات الاهالي فيضطرون الى الهجرة جنوباً ويخلقهم قوم آخرون أرفع شأنًا وأعلاماً مكاناً وعندى أن هجرة القبائل الى الصحراء جنوباً وهم باطل كالقول بإمكان مضايقة الجزائريين فينزحون عن البلاد ويولد

وويداً اما انقراض الاهالى شيئاً فشيئاً كلما دخل التمدن الاوروبى بلادهم فنحن
 لا نصدقه إلا قليلاً لان احتكاكهم بالتمدنين ربما قلل من وسائل العيش لديهم
 ولكنه لا يؤثر فى وجودهم بل لا يزالون يتناسلون اكثر من الاوروبيين
 ونضيف على ذلك أن المسكرات التى استعمالها الاورباويون للتعجيل على وجود
 بعض الامم المغايرة لهم لا تؤثر عند أهالى الجزائر لكندهم بمقتونها، مقتاً شديداً
 اذن وجب علينا أن نعيش فى الجزائر بجانب سكانها وفانحياها الاقدمين
 وأن نطلع عن التطلع الى التحويل أو التجنيس فكلاهما وهم وخيال ولا خوف
 من هذا بل الخوف يأتينا اذا أوجبنا عليهم التجنس بجنسيتنا فنالوا ما لنا من
 الحقوق السياسية . ولو تنزل حكمانا الى تعرف أمة الجزائر التى يجهلونها أو
 يعرفونها على غير الواقع وعملوا على مرضاتها ببعض ما تميل اليه وتخفيف شئ
 من أثقائها لانتفى الخوف منها وزال خطرها وتصير أعظم مساعد على الاستعمار
 ولرب معترض يقول أن تلك سياسة مبهمة فنجيب بانها كذلك وهو مقصود
 لان السياسة المرتبة على قواعد ثابتة وأصول معروفة من قبل أضرت بالجزائر
 أكثر من سياسة التجارب بحسب الظروف والاحوال غير أنه يجب مع ذلك
 أن تبنى السياسة المطلوبة على مبدأ واحد يتخذ أساساً لها وهو أن تكون
 مضادة لليهود على خط مستقيم ففى ذلك ضمان السلام والامن فى تلك البلاد
 لان ما أتاه موسيو (كرميو) من جعل اليهود كلهم فى الجزائر رعايا فرنساويين
 كان شؤماً على الدوام وما شؤمه آت من أن العرب اشمزت لحصول اليهود
 على ما لم يحصلوا هم عليه كما ذهب البعض بل هو آت من أن ذلك العمل أوجب
 اطلاق السراح لقوم يرى العرب أنه كان من الواجب بقاؤهم تحت سيطرتهم
 وخالف ما فى نفوسهم من عظيم الاحتقار لليهود ومكن هؤلاء من الانتقام
 على ما أصابهم من المسكنة فى سالف الازمان أما العرب فهم يأفقون من
 التجنس بالجنسية الفرنسية لكون ذلك ياجئهم الى ترك دينهم كما قلنا ولكنهم

بمغضوننا، لا مانعنا هذا الامتياز لاناس اعتادوا أن يروهم دون اقدامهم وقد وصل تغطرس اليهود اليوم ان لم تقل وقاحتهم الى حد في الجزائر بحيث صار الخصام قريباً بن الفريقين فلمسلمون لا يطيقون احتمال ما احتمله المسيحيون وقد أزفت الساعة التي يقومون فيها جميعاً ليعيدوا بنى اسرائيل الى ما كانوا فيه من الخضوع والامتهان ويكون الوقت قد فات لارجاع اليهود الى ملتهم وقد لا يسلم المسيحيون من مخن الجزائر

ولقد نستخلص من الحاثنا هذه أمراً آخر بالنظر الى سياستنا في افريقيا الوسطى وهو أمر سهل النوال ذلك أننا لا نشير على فرانس بالتحالف مع المسلمين وان كانت هذه هي السياسة التي رآها فرنسوا الاول ولكننا نرى أنه يجب عليها معاملة الاسلام في افريقيا بما يسعها من المحاسنة والتجمل فقد رأينا قبائل الفولبوسيين والخواصة أوصلوا نفوذهم الى تلك الاقطار الشاسعة التي تكتنف أملاكنا في السكونغوا فصاروا سيرا متتابعاً من شادوا الى خط الاستواء وأدخلوا الاسلام أينما حلوا ومن الصعب علينا ان لم نقل من المستحيل أن نوقف تيار هذه الحركة العظيمة فلنجهتهد في الانتفاع منها بقدر الامكان ولنمتنع من التدخل فيما يحصل بين الامم الاسلامية والوثنية من الانحلال والتكوين بل علينا أن نراقب هذه المعامع بين تلك الشعوب ولنترك الفولبوسيين يخططون من النبر ممالك على النسق الفطرى القديم ولنحذو حذو سلاطين المسلمين ففضيف حمايتنا الى حمايتهم على أولئك القوم المنحطين ولنحذر على الخصوص من الوقوع في خطأ سياسة الاستعمار وهو اعتبار دائرة النفوذ محالاً للكسب والأعمال ولو عارض قوم بانه لا ينبغي أن يكون هذا شأن فرنسا المسيحية بانه يجب عليها أن تمنع جهدها انتشار الاسلام حول أملاكها في افريقيا لتجذبت في الرد عليه برأى الكاردينال (هرجوتر) وهو أن تاريخ الكنيسة يعتبر أن فناء الامم الوثنية في الامم الاسلامية من

المقاصد الالهية المحتمة قال الكاردينال (على الاسلام أو بهي الامم العريقة
 في الهمجية وأخصها الامم الافريقية الى التمدن فانها بما فطرت عليه من الانحطاط
 في الادراك وما تعودته من الشهوات محتاجة الى التحول عن الوثنية الى الاسلام
 ليتسنى تحويلها من الاسلام الى النصرانية لكن أنى لنا في الوصول الى نقل
 تلك الامم من القرآن الى الانجيل وكيف يمكن أن يصير الوثنيون عباداً للمسيح
 بعد اعتناق الاسلام وهو الدين الذي يتمكن من القلوب فلا يفارقها هنا يختلط
 علينا المقصد الالهى فلا ندرك مرماه على أنه لو لم يكن للاسلام من فائدة إلا
 تحويل عبدة الاصنام من وثنيين الى موحدين وترقية أخلاقهم وملكاتهم
 الكفى بذلك داعياً الى معاملته بسياسة التلطف والاعتدال جرياً على قاعدة
 العمل بأخف الضررين

ملحقات

﴿ الملحق الاول ﴾

أفكار المسيحيين في القرون الوسطى بالنسبة للنبي

والدين الاسلامي

لو أردنا أن نكتب كل شيء في هذا الموضوع لوجب أن ننشئ باباً مطولاً
 حتى نستوفيه حقه لانه مع أهميته لم يلتفت اليه أحد من الكتاب واذ اقارن
 بين ما كتبه كل فريق منشوراً في الكتب وما قاله الفريق الآخر يمكننا أن
 نفهم السبب في ذلك التخيل الغريب الذي تخيله القصاصون بل والمؤرخون
 عن الدين الاسلامي فجميع ما تصوره في تلك الاعصر يشتمل على بعض
 الافكار وان ظهر لنا انه خال عن المعنى
 وذهب موسيو (ييجونوا) الى أن السبب في كثرة الاقاصيص والحكايات

الخرافية التي ابتدعت عن آلهة المسلمين هو تشعب طوائف ذلك الدين وهو
تعليل غير مقبول لان تلك الطوائف لم تغير مطلقاً في مبدأ القرآن وهو
وحدانية الخالق وما كانت الا مذاهب لكل نظر مخصوص في بعض مسائل
التوحيد والمعقولات كالبحث عن ذات الله وكون القرآن قديماً أو حادثاً
والاختيار في الانسان وغيرها وهي مسائل لا يشتغل بها القصاصون والشعراء
ولست أريد أن أبين في هذا الموضوع ما كان الناس يعتقدون فيما نسبوه
الى المسلمين من التماثيل والاولئان مثل (ماهومد) (وابوللون) و(ترافاجان)
و(نوران) و(مارجو) وغيرها وانما أردت ان أجمع بعض ما كتب في
تلك الازمان من المقتطفات التي يقف القارىء بواسطتها على أفكار اجدادنا
في الاسلام وبنيه وهي أفكار من الغرابة بمكان حتى أن من لا يهमे مثل هذا
الموضوع يرتاح لتلاوة هاتيك القصص والاشعار مما ينسى معه الموضوع
الذي كتبت فيه

فمن تلك المقتطفات ماشاع في جميع الازمان عند الفرنسيين حتى
قبل الحروب الصليبية من أن النزاع بين النصرانية والوثنية (يشير الى
الاسلام) يفضى الى حرب عجيب في بابه وقد جعلوا لذلك الحرب أشكالاً
متنوعة نتيجتها كلها استظهار المسيحى على الوثني ووصفوا تلك الحروب
باوصاف مختلفة تتناوب فيها الضربات وتثنى الاجسام تحت السياط وتتبادل
النبال ويحتمد القتال الى أن ينتهى بضربة عاتية وهجمة قاسية فينفذ السيف
في الاجسام وفي أثناء هذا الحرب العوان يتناقش الخصمان في علم اللاهوت
الاعلى وكل يقدم دليله الاقوى ويقابلان بين دين المسيح ودين محمد ويميل
الواحد منهما الى اقناع الثاني بصحة دينه وصدق ايمانه ومن هذا القبيل
ماجرى بين (غليوم دورانج) المسمى غليوم ذا الانف القصير و(قرصوط)
المسلم صاحب الطول الهاشمى وهو بيت القصيد في رواية تتويج الملك لويز

وهو أيضاً قسم من قصة مطولة يقال لها قصة (غليوم دورانج) وتحتوى على ثمانية عشر فرعاً وعدد أبياتها مائة وسبعة عشر ألفاً وثلاثمائة وفيها وصف المسلمين واخلاقهم ودينهم

ذكر صاحبها ان الملك شارلمان أرسل غليوم في أمر الى البابا فذهب الى رومه في أربعين فارساً وبينما هو يزور قبر القديس بطرس القريب من قبر (تيرون) وهو أحد آلهة المسلمين في بعض القصص انتشر خبر قدوم المسلمين بعد انتصارهم في (١ يولييه) فحزن الناس اجمعون وجمع البابا على عجل جيشاً اسلم قيادته الى غليوم وعما قليل أقبل جيش المسلمين حتى صار على أبواب المدينة فتقدم جيش غليوم نحوه واصطف الجيشان للطعان والضرب والنزال ثم تشاور الرؤساء في أمرهم وقرّر قرارهم على أن يقتل الرئيسان والفريقان يشهدان فمن غلب فخيسته الظافر وكان خصمه هو المكابر والكافر . هنالك برز الفارسان وسط الجموع وشخصت نحوهم الابصار وجعل الشاعر يقص ما كان من أمرهم بكلام يشغل الافكار ووصف يستوقف الابصار فاذا ارتعدت فرائص غليوم ضج المسيحيون وهاجوا وانهال البابا ونزل بقلبه الهلع الاكبر وصاح المسلمون باصوات الفرح والتهليل واذا أصاب قرصوط جرح من خصمه انقلب الفرح بكاء وتبدل الحزن ابتهاجاً قال وكان قرصوط لابساً درقة من الزرد متقلداً بالقولاذ مستعلياً ظهر جواد الله أكبر ما أعظمه وأما غليوم فلم يشأ الشاعر أن يصف لنا لباسه وعدته بل ذهب الى البابا أحضر اليه أثراً من آثار الرسول بطرس وهو ذراع له محفوظ في عمود ثمين ثم أخرجه من عمده وسامه اليه فجعل يمس به جميع اعضاء جسمه الا نصف انفه ثم تقدم قرطوس نحو خصمه فلما رآه غليوم مقبلاً ترجل عن جواده وجعل ينشد الاشعار ويقص التاريخ والاخبار الى ان وصل الى خلق الليل والنهار وكيف تكونت الارض والانهار وارتفعت

السموات عن البحار واستمر الشاعر يروى هذا الخبر حتى كتب ثمانين بيتاً من الاشعار ثم انتهى بالتضرع الى المسيح فقال له ان صح انك مت ثم حييت فاحفظ غليوم ولكن الهاشمي رأى الدماء طويلاً فسأل خصمه عن السبب وهنالك رأى الناس العجب وصار كل ينادى بالويل والثبور ويستنزل فوق رأس عدوه عظام الامور ثم طلب الى غليوم ان يعرف عن نفسه فاطال الجواب في ذكر أسمائه والقباه وأسماء عائلته ونعوتها وفي بيان حربهم وما فعلوا وانهم فتكوا بالمسلمين والسلافيين وختم جوابه بقوله فما بلغوا شأونا وما كانوا قط مثلنا ففضب قرصوط وحملق بعينيه وحرك حاجبيه وحمل على خصمه بكلام طويل وقول ثقيل ثم جعل يمجّد الله ويثني عليه ويستنزل معونته ويكل الامر اليه وبعد ذلك اشتبك القتال وابتدأ الطعن والنزال وكلما كالت السواعد قامت قيامة الجدال وتوالت الحجج والشواهد وفي احدى هذه الفواصل جعل غليوم يبين لخصمه حقوق الملك شارلمان على (رومة) و (توسكان) و (كالابره) ويشرح له سيادة البابا السياسية ثم حمل عليه قرصوط فيكاد ينزل به الموت الاحمر وانخاضت قلوب النصارى وضاعفوا الدماء والابتهال ورفع البابا يديه الى السماء طالباً ان يعود غليوم الى رومة سالماً غانماً فاشتد ساعد رجاهم وفوق الى قرصوط طعنة في صدره فخرج السيف يلمع من ظهره قال الشاعر ولكنه ما برح مالكا لقواه ولو كانت الضربة في غيره لاعدته الحياة ولما أحس بالالم انحاز الى جهة وجعل يفكر في الذي خط القلم وأما غليوم فرجع الى الدماء والاستنجد وعاد الى خلق البلاد والعباد وذكر العهدين الجديد والقديم ودخول عيسى أورشليم ونجاة يوحنا وتنصر بولس الرسول وتوبة (مادلين) وبعد ذلك رجع البطلان يقتتلان فناول قرصوط خصمه ضربة بسيفه البتار أطاحت نصف أنفه فغاب عن الابصار هنالك يتس النصارى واصبحوا في أمرهم حيارى وسال

البابا ربه أن يعين شجاعهم وان يجفف دموعهم وبينما الناس يصيحون وبالدعاء الى الله يتضرعون اذ سكبت الجميع لهول موقف المتحارين وقد حان الحين وزعق غراب البين وحمل الهاشمي على خصمه وناول الضربة فمال عنها وارتد اليه بمثلها أطاحت رأسه وسال الدم فسكن المدور مسه وصاح غليوم مستنصراً لقد أخذت بثرا أننى واحتاط به أهل رومه وهنأوه وجاءه الاشراف من قومه ليسألوه عن صحته وسلامته

ومن المقتطفات قصة (فارس البجعة) ويقال انها أول قصائد الحروب الصليبية وهي (لحنا رونو) ألفها في القرن الثاني عشر ومدارها أن والدته (قربان) ملك أورشليم ذهبت الى القرشى محمد لتستطلع الاخبار فنبأها بحضور الصليبيين وأن أورشليم تقع في يد « جودفر وادبويون » وقد نشرت هذه القصة أول مرة في بروكسل سنة ١٨٤٦

ومنها قصة الاسرى وتعزى الى غليوم التاسع أمير « بواتيه » ألفها في القرن الثاني عشر ومبناها ان « ريكار دو كومون » تقاتل مع رئيسين من رؤساء المسلمين هما غلياس ومورغالى أى الامير خالد فقتل غلياس وجرح مورغالى جرحاً بليغاً فأقر بأنه غلب وطلب من ريكار أن يعمده ثم يجهز عليه بقطع رأسه

﴿ قصة فتوح أورشليم ﴾

رأى جودفروا في السهل كوكبة من الفرسان فاتقض عليها فلما قرب منهم سألم ان كانوا مسلمين أو نصارى قائلاً يا هؤلاء أى القوم أنتم تؤمنون بالله العظيم ابن مريم قدس اسمها صاحب الشرف الاعلى شديد القوى أم تؤمنون ببوللون وماهون وترافاجان أولئك الاصنام قبحت سيرتهم الذين يعبدهم الاعمجاء . وجاء فيها ان اثنين من قواد المسلمين أسرا أثناء حصر المدينة فحاول جودفروا أن ينصرهما وان (صوقومان) سلطان المسلمين جرح جرحاً بليغاً

فصار يستغيث بمحمد وابلولون

ومن القصص التي ملأت الاسماع في كل زمان ان محمداً لما مات وضع في صندوق وكانوا يعتقدون ان ذلك الصندوق من المغناطيس الاصلى وانه معلق بين الارض والسماء تحت قبة مغطاة بالحديد والامير يحرسه بمائة وخمسين الف فارس وان (صودان) يراد به السلطان أى ملك المسلمين طلب من الخبر بطرس أن يعتنق الاسلام والخبر أظهر انه يميل الى ترك النصرانية فأمر القائد باحضار الصنم محمد ليسلم امامه وان جودفروا أسر أحد القواد وطلب منه أن يتنصر فأبى وقال انه لا يعبد إلهاً شنتقه اليهود

﴿ قصة بودوان دوسبور ﴾

وهي من منشآت القرن الرابع عشر وفيها خروج الكونتس دى يونتيو وهي أول ما جاء في قصة صلاح الدين وانها صارت زوجة له وولدت منه ولداً هو ذاك صلاح الدين الشهير الذي كان الطامة الكبرى على النصرانية وانها استولت عليه وصارت صاحبة الكلمة النافذة عنده بما اتخذته معه من الحيلة والملاطفة وهي التي طلبت منه أن يسمح بحضور أخيها الكونت دى يونتيو وتعهدت له انها تحمله على ترك النصرانية فأجاب سؤالها وقد حكى الشاعر سفر الكونت طويلا

وأما صلاح الدين فذكره موجود في جميع أناشيد ذلك العصر بالفرنساوية واللاتينية وتراه في احدى الروايات يتناقش في الديانات وأعظم عيب عاب به النصرانية عبادة البابا ومسئلة الاعتراف وفي رواية (جيل دو كوريل) لولا ما شاهده صلاح الدين من اختلال حال القسس لاعتنق النصرانية وكتب طبيب الملك (فيليب أوغست) هجواً مؤلماً في هذا الموضوع ضد القسس سماه الطب المقدس للقسس

« ومنها »

قصة شاعر ريمس — يؤكد هذا الشاعر ان صلاح الدين اعتنق النصرانية
في مرض موته وقد قص قصته طويلا وعزاها الى عم ذلك الملك
« ومنها »

قصة المرور في الارض المقدسة — وهي لعمانويل الكندي يقول فيها
أقام أياماً بمصر وفي بعض مدن الوثنيين الاخرى يعني المسلمين وخالطهم
كثيراً وكان قومه يعتبرون رأيه في المسلمين ودينهم قال لما كانت الصدف
تجمعي برجل منهم لم يكن ذا شر وضر كنت أتجاسر على سؤاله عن الاسلام
وهلا نزل فيه شيء من التعاليم النفسية فكان يقول لي لم يأتنا بشيء من ذلك
بل كله متعلق باللذة الجسدية ولذلك يسمى بدين الجاموس والجمال وجميع
الحيوانات الاخرى وقد حكى هذا المؤلف سبباً غريباً لتحريم المشروبات
الروحية فذكر ان محمداً خرج من مكة في نفر من نصحاء الى المدينة وكان
معه راهب يستشير على الدوام فالراهب يميل به الى الديانة المسيحية وأخصاؤه
يميلون به الى الدين الاسلامي وكان النبي أكثر تعلقاً بالراهب ففضبوا غضباً
شديداً وفكروا في الذي يفعلون وكانوا ينامون خارج مضرب اختص هو به
مع الراهب فاتفق ذات يوم ان محمداً ذهب الى حانوت خمر وشرب كثيراً حتى
أتى نشوان ونام فأجمعوا أمرهم على قتل صاحبه ودخل أحدهم واستل سيف
النبي من غمده وقطع به رأس الراهب ثم أرجعه مكانه وانصرف ولما أفاق
محمد في الصباح ورأى صاحبه مقتولاً أخذه الغضب جداً وشدد في معرفة
الفاعل فقالوا له انك ذهبت بالامس فغبت عنا طويلا ورجعت سكران فأخذت
سيفك يمينك وقت بيننا متهيجاً فظننا انك تريد قتل واحد منا وخشنا
أن تقرب منك ثم عمدت الى الراهب فقتلته وأرجعت سيفك الى غمده في
الحال وهو لا يزال مخضباً بالدماء فاعتقد صحة ما قالوا وحلفوا جميعاً انهم

لا يشربون الخمر أبداً ومن هنا حرم الخمر خوفاً لا تعبداً وهم أى الوثنيون (يعنى المسلمين) أينما وجدوا الخمر يغرغفون فيه وهكذا انصرف محمد عن المسيحية ومال الى تلك الديانة البهيمية

«ومنها»

قصة الغزوة الكبرى — وهى لمجهول وعنوانها (محمد والحيل التى استعملها ليفش العرب والبلاد الاخرى) وقد جاء فيها وصف النبي وبيان حاله على ما كان مفتقداً في تلك الايام قال المؤلف ظهر محمد في زمن الامبراطور هيرقليوس وهو مبتدع كذوب خوان تظاهر بالزهد والتقشف فى المعيشة وادعى انه نبي مرسل من الله فافتنت به العرب ثم الاقاليم الشرقية الاخرى ولكي يجعل له ذكراً دائماً ويخلد اسمه ويوسع نطاق مملكته ويديم عمله الشيطاني وينشر دينه الطاغوتي قرر انه ليس من حاجة بعده لواعظ أو مرشد في الدين وجعل قاعدته استعمال السيف كمن يهزم جوادا استعد من قبل الى العدو وبذلك أدخل أوما كثيرة فى مذهبه وقد كانت عدواه أشد مصيبة من عدوى المسيح الدجال ولم ينمحي أثرها الا اذا عظمت قوة الامبراطور وأمكنه أن يأمر قومه بالتمسك بأهداب النصرانية والا عاقبهم بالاعدام ثم انتهى بهم الحال أى المسلمين فرفعوا عن الرجوع الى الحق ولم يمتثلوا أوامر الخالق المعبود

«ومنها»

قصة جيبيير دى نوجان — وهو مؤرخ الحرب الصليبية الاولى وقد تقل في تاريخه عن قومه أفكارهم وآراهم فى محمد والاسلام قال تعتقد الامة انه ظهر فى غابر الازمان رجل اسمه محمد أضل الناس عن الاعتقاد بالابن وروح القدس وعلمهم ان كل شيء آت بقدره الاب الله الواحد الذى خلق الخلق واذا عيسى لم يكن إلا بشراً ومن فروض دينه الختان فأرخص بذلك للناس عنان

صاحب الامر فى بيت الله كيف يكون لعبد (براطون) وجود فى معبد الرب كما لو كان هو الرب ثم التفت الى جماعته وقال لهم هيا اصعدوا من فوركم فالقوه فى الخضيض فلقد اراد الله أن يكون كما أمرت لانه قائم امام الناظرين بوقاحة كانه يريد أن يقوم مقام الله فانقضوا عليه وجذبوه وقلبوه وهشموه وجعلوه إرباً وقطعوا ذلك المعدن الثمين فى ذاته الحقير فى صورته فصار ثميناً بعد ان كان حقيراً وكان على جوانب المعبد عصابة من الفضة الخالصة وضعت تمجيدا لمحمد عرضها ذراع وسمكها كالا صبع وزنتها سبعة آلاف مارك ورأى تنكريد بحكمته انه لا فائدة فى بقاء هذه الفضة بغير استعمال فكسى منها الفقواء وأطعم الجياع وسلح جندا جديدا فزاد فى قوته ويوجد فى المعبد أيضاً خمسمائة حوض من الفضة كانت مخصصة كلها لخدمة ذلك الصنم فيها كثير من آنية الفضة المختلفة الاشكال فأخذها تنكريد وكانت حيطان المعبد مغطاة بالاحجار وبعضها بالذهب والفضة فنزع تنكريد كل ذلك وجابه الى بلده ثم استخرجت الاشياء الثمينة التى كانت مدخرة منذ زمن طويل وعرضت على الناس وبعدها سلمت الى تنكريد

« ومنها »

قصة سفر (لودوف دى سودم) الى الارض المقدسة — ألفت سنة ١٣٤٢ ميلادية ولودوف سائح المانى جاء فى رحلته عن محمد والمسلمين ما يأتى اعلموا انه فى سنة ٦٢٠ من تاريخ الرب جاء الشيطان باذن الله ونشر بدعة المحمديين بالطريقة الآتية فأولاً فتن الخبر سرجيوس الذى كان من طائفة القديس (بنوا) وطردها منها لاعتناقه بدعة (نسطوريوس) وبعد ان فتنه أنفذه الى مقام الملك فى رومة لينال بعض الوظائف الدينية ولما لم ينل مراده ويثس من النجاح قفل الى بلاد العرب ونزل فى بنى هاجر وهم بنو اسماعيل الذين سموا أنفسهم

(سراً زين) تفاخرا بساره التي كانت بنت اسماعيل ولكن هذا الاسم لا يليق بهم ويجب ان يطلق عليهم عنوان (الماغومدين اي الحمديين) تبعاً لاسم ماغومد الذي اغترت به تلك الطوائف الخشنة التي تسكن الصحراء ولما صار سرجيوس المذكور في تلك البلاد وجد رجلاً جاهلاً احق اسمه ماغومد واثّر عليه حتى اعتقد في نفسه انه نبي ووضع له بعض البقول في اذنه اليمنى وتلم حمامة فصارت تأتي كل يوم فتقف على كتفه وتلتقط الحب منها ثم جعل سرجيوس يدعو في الناس بان الله اختار بني هاجر وكانوا في ذلك الحين احقر الامم وارذلهم واراد ان يخرج من بينهم نبي الانبياء وان روح القدس سيناجيه امام الناس في صورة حمامة فصدقوا ولما صار ماغومد وسطهم أطلق سرجيوس الحمامة وكانت على شغب فطارت الى كتفه وجعلت تلتقط الحب من اذنه فأشار اليه سرجيوس انه هو النبي المرسل من قبل الله لامته ولم يكن احداً ما يعرف ماغومد وهو نفسه ما كان يعرف عائلته بل وجدوه لقيطاً في الصحراء فأواه بعض الاغراب وربوه حتى صار من رعاة الابل ولكونه كان مجهولاً عند الناس ظنوا انه نزل من السماء

ثم انتشر صيغه جدا حتى صار الناس يقدون عليه في كل يوم من افاصى البلاد وعند ذلك اجتهد سرجيوس في اقناع امرأة من العرب اسمها (كندوكاجيا) (خديجة) فتزوجت ماغومد واستعمل ماغومد الغاظة والغش حتى أخضع الامة بتمامها لسلطته ثم أصابه داء الصرع انتقاماً من عند الله وكان كلما ينتابه الدور يقول ان السبب في تألمه ناشئ من محادثته مع ملك من الملائكة ومن ذلك الحين أخذ في سن القوانين المنجسة وتأليف الكتاب المسمى التريان (القرآن) فكتبه هو باملاء سرجيوس لانه كان مجرداً عن كل تربية وتعليم. وهذا ما كتبه في أول ذلك الكتاب التريان بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله خالق الامة اي أوجدنا وهدانا الى الصراط المستقيم الا

الفحش وقلة الحياء ولا أظن ان ظهوره كان في زمن بعيد عنا لاني لم أجدر رجلا واحدا من رجال الكنائس تعرض لرد مذهبه الدنيء ولم أقرأ في كتاب شيئا عن حياة ذلك الرجل وكيف كان يعيش ولذلك أراني مضطرا الى الاخذ عن الذين سمعت ذلك منهم ومن التافه أن نبحث عن معرفة صعيح هذا التاريخ من فاسده اذ غرضنا أن نبين كيف انه كان عظيما وكم من حادث عظيم خلد له ذكرا والكاتب في أمان من الخطأ ان أساء القول في رجل فاق شره وصف الواصفين

« ومنها »

قصة الحرب الصليبية الاولى — لمؤلفها (تويوف) وقد أتمها رجل مجهول وفيها يذكر ذلك المجهول دخول الصليبيين الى اورشليم وأول من دخلها هو (تنكريد دي سيسيل) وكان أول همه ان أسرع الى المعبد فدخله ثم جعل المؤلف يصف اندهاش القائد لما رأى ان صورة محمد موضوعة مكان صورة المسيح قال المؤلف ثم فتحت أبواب المعبد وكان أول من دخله تنكريد فرأى صنم محمد من الفضة وهو مصبوب وموضوع على قاعدة مرتفعة ثقيلة الوزن بحيث لا يحركه ستة من الاقوياء الا بالمشقة وقاما يكفي عشرة رجال لحمله فأمعن تنكريد النظر فيه وصاح يا للعار ما معنى هذه الصورة التي أراها موضوعة في هذا المكان الرفيع وما المراد منها وما تلك الاحجار الكريمة وما هذا الذهب الوهاج وهذا الارجوان (لان محمدا كان متقلدا جميع حلاه) أهذه صورة المسيح كلا لان المسيح لما صلب على الخشبة كانت رجلاه مسموكتين بالمسامير وضرب بالرمح في جنبه اذن هذا ليس هو المسيح ان هذا الامرذول محمد أول أعداء المسيح وهو المسيح ولقد كنت أتمنى ان المسيح الثاني الذي قيل بانه سيظهر في مستقبل الايام يكون بجانب هذا لادوسهماتحت أقدامي واكررباه هذا محمد المعذب في الجحيم كيف يظهر عليه في هذه الصورة انه

الذين غضب عليهم فجعلهم من الملعونين قال الراوى ونقل محمد في هذا الكتاب كثيراً عن كتاب موسى والانجيل وترجم كثيراً من نصوصها باللفظ مع ان معانيها خفية مجازية وفيه كثير من التشبيهات الفارغة التي لا يمكن تصورها فمنها ما كتبه عن المسيح (نحن نعلم جيداً من هو عيسى ابن مريم الرجل القديس الذي خلق من روح القدس في احشاء أمه وجاء بالكتاب للنصارى وكما انه نسخ شريعة موسى في اليهود فقد بعثنا الله لنصلح شريعة عيسى) وجاء فيه أيضاً (ان اليهود صلبوا عيسى ولكنه لم يتألم في الحقيقة وان حياته بعد ذلك مخترعة والماغومديون يعتقدون ذلك)

وفيه أيضاً (ان عيسى ليس ابن الله ولكنه رجل صالح أرفع الى السماء ودرجته فوق جميع الناس الا ماغومد كل هذا في الترياق) وعلى هذا يعتقد الماغومديون في الله القاهر وفي كتابه وفي ماغومد وفي القديس مخائيل (ميكائيل رئيس الملائكة) الذين يعترفون اليه ليلاً بذنوبهم في الجبال ولهم خمسة أعياد يصومون فيها الى المساء ولكنهم يسترجعون جميع قواهم في الليل وهكذا يفعلون في كل صوم ولهم عيد سادس جعلوه للشعري اليمانية التي يعبدونها أيضاً ويختنون ولا يأكلون لحم الخنزير كاليهود ويكتسون ويخلقون ويركعون كالرهبان ويجوز لهم سبع من النساء بل أكثر من ذلك ويطلقون من لا يريدون من بينهم كالوثنيين ولذلك فكثير منهم يقتلن بعضهم بالسّم لحقدن وغيرتهن وفي الرجال حدة وشهوة يأتون الذكر وليس في قدرتهم أن يقوموا بواجب امرأة واحدة ومع ذلك يتزوجون بعدد كثير ولذلك فهم في الغالب يموتون بالسّم من نساءهم وهذه الاسباب كلها ينقطع نسلهم وان كانوا منهمكين في اللذائذ الجسمانية هذا كل ما علمهم اياه وأمر باتباعه ماغومد الختال النذل المرذول

ولبني سارة في بلادهم قضاة وأساقفة يأمرّون قسّهم المحقرين وقد زعم

أحد القضاة أنهم من أولاد القسيسين وفي الواقع أصلهم كذلك ويشتد أولئك القضاة جدا على النصارى اذا تقدمت اليهم شكوى ضدهم بأنهم دخلوا الكنائس الاسلامية أو حضروا اقامة شعائر ذلك الدين أو سبوا ما غومد فيحكمون عليهم أن يقطع الواحد منهم أربما ثم ختم المؤلف رحلته بقصة موت محمد فقال أما ماتجب معرفته من وفاة ماغومد فهو بعد أن حكم سبع سنين في بلاد العرب دست له امرأته السم لانه كان قدرا مصروعا وبينما هو ذات يوم في الصحراء منفردا كعادته اذ تحرك عليه السم فوقع ميتا بعيدا عن الناس ونهشت جثته الذئاب والضواري وقيل في بعض الروايات أن الخنازير الوحشية أكلته ولم يجدوا شيئا من أثره اذ ما ترك الذئاب الا ملابسه ولا صحة لما يقوله المسلمون من ان عظامه جمعت ودفنت في مدينة مكة وأنها معلقة في الهواء كما حققه بعضهم ممن تنصروا وكانوا قد زاروا ذلك المعبد ولم يروا فيه صندوقا وليلاحظ أن المسلمين الذين يذهبون الى الحج ويصلون في مكة يعتقدون أن فيها قبر ماغومد ومع ذلك يقولون ان هناك أول معبد لآدم وان ماغومد أمر بالصلاة فيه ومتى ذهبوا الى ذلك المكان لا يفعلون شيئا سوى رمي المعبد بالحجار ليرجموا الشيطان

﴿ ومنها ﴾

رسائل « ريكولدو » وهو قس من التليان توفي سنة ١٣٢٠ وفي تلك الرسائل بيان في الديانة الاسلامية وقد اشتد حزن المؤلف وغضبه من وجود تلك الطائفة اللعينة وكان يكثر من مناجاة ربه واطهار الضجر والتوجع من ذلك اليه

جاء في احدى رسائله ويعتقد بنو ساره أنهم ناجون بواسطة غشومهم للمعين محمد الذي توسل بالعسف والخطيئ الى اقناعهم بنبوته وأولئك الذين

يؤمنون بمثل هذا الرجل لا يقال لهم بنو ساره بل مسامون أى ناجون وإني
لا أذكر لكم كل ما جاء في ذلك الدين بل أقصر على أمرين الاول ان محمداً
يجتهد في إبادة التثليث المقدس تماماً الذي هو دينكم لانه ينفي الابن عن الآب
وينفي الآب عن الابن وينفي روح القدس عنهما ودليله ما قرأته عليكم باللغة
العربية في القرآن وما يريد اثباته في عدة آيات وجملته مواضع ويجعله الدليل
القاطع من أنه يستحيل على الله أن يكون له ولد لانه لم يكن له امرأة ومعلوم
أن من أنكر الابن فقد أنكر الآب واذا انتفى الابن والآب فلا وجود
لروح القدس كذلك قرأت في موضع آخر من القرآن (ان الله لا يغفر أن
يشرك به ويغفر ما دون ذلك) وهو يقول في مواضع أخرى وقرأت أيضاً
ان الله يصلي على محمد

ويؤخذ من رسالة أخرى أن المؤلف كان يستغيث بالقديسين والقديسات
ثم يستنجد أخيراً بالقديس (دومنيك) والقديس فرنسوا ويأخذه العجب من
انهما لم يتمكنوا من التغلب على عدوه قال ومن هو عدوى هو محمد ذلك المحرم
ذلك الختال ذلك الكافر بالله وبالتوراة المقدسة نعم اني لا عجب من انكما
وحدكما لم تحييا بعد من الوجود أناجيك أيتها القديسة مريم مدلين يا صاحبة
المسيح المصطفاة وأستنجد بمحورك ضد محمد وبني سارة المحمدين لانك تعلمين
أيتها السيدة المقدسة اني وجدت كنيسةك الجميلة التي أقامها المسيحيون
لخدمتك في (مجدلة) قد جعلها بنو سارة مربطاً للبهائم وصارت مسكناً لا قدر
الحيوانات كذلك كنيسةك اللطيفة التي بناها لك المسيحيون في بطنية وهي
التي ازدرف فيها المسيح دموع العشق الالهي وأحيا أخاك لازار من قبره
وجدتها ملطخة بالاقذار وصارت مربطاً للحيوانات الوحشية يا أسيادنا ألا
يمكنكم أن تساعدوا المسيحيين على المحمدين أو انكم لا تريدون ذلك اني
أعتقد بأنه يمكنكم ولكن لا تريدون الا اذا صح أنكم صرتم من بني سارة

(مسلمين) لان من المحقق في جميع أنحاء الشرق أن القرآن كلام الله فاذا صح أن القرآن كلام الله فمن المحقق والمؤكد والذي لا شك فيه أبدأ انكم صرتم رسلا مسلمين ومقلدين لحمد ذلك لاني قرأت في الفصل الثالث من القرآن أن عيسى بن مريم لما رأى البدع فشت في بنيه سأل عن ينصر الله فأجابه الرسل وكانت هذه الدعوة قد أصاحت ما هم-م نحن نصراء ابن الله نحن مخلصون لله ونشهد بأننا مسلمون وأننا مقلدون لحمد

«ومنها»

سياحة أمير (امير انجلور) — التي كانت سنة ١٢٩٥ مسيحية ذكر فيها ما يأتي : سرنا يوم الاحد الموافق ١٣١ أكتوبر طول النهار ومشينا يوم الاثنين وهو يوم عيد القديسين حتى اقتربنا من حنفية السلطان فررنا أمامها وأقمنا على بعد فرسخين منها والعادة ان جميع الحجاج يحطون خيامهم قريبا من تلك الحنفية ليقتلوا الهجير بالماء البارد لانه منذ الخروج من غزة لا يوجد ماء صالح للشرب الا في حنفية السلطان والسبب في عدم اقتربنا منها هو انه كان يوجد حولها عشرة آلاف من المسلمين قادمين من مكة وجالسين هناك ليطربوا بجمائهم وكان كل واحد منهم يلبس لباس بلده وكلهم يعبدون سيدهم النبي محمد والمسافة بين مكة والقاهرة مسيرة خمسين يوماً في الصحراء وعلى ما يقال ان مكة مدينة كبيرة جداً وهي أيضاً مدخل الهند وحقق لنا بعضهم أن في القاهرة المذكورة اثنتي عشرة الف كنيسة لأولاد سارة يقال لها مساجد وفيها يقرأون صلواتهم ويتعبدون واعلموا أيضاً انهم أكدوا لنا أنه كما يوجد في القاهرة اثنا عشر الف مسجد يوجد في القاهرة اثنا عشر الف حمام لكل مسجد حمام ويقولون أن كل مسلم لا يجوز له أن يسمع التلاوة الا اذا كان طاهراً وكلما اختلى بحمله وجب عليه الغسل ولهذا فان الناس يفتسلون كثيراً في تلك الحمامات خصوصاً

الاغنياء والفقراء يفتسلون في اليم واعلموا أننا رأيناهم يفتسلون عراة بغير أدب
ولا احتشام أمام الناس

«ومنها»

اخبار القديس (دينيس) وفيها يقص المحدث كيف ان مدينة دمياط
استخلصت من رجال ملك فرنسا سنة ١٢٤٩ ميلادية ويخبر بآبادة الاصنام
الاسلامية حيث يقول وقد تقدم الرسول الى المحمدية (يريد بها الجامع) وأمر
أن تنكس جميع الصور الباطلة وأصلح المكان وجعله مستعداً لعبادة سيدتنا
المقدسة مريم ثم أقام فيه صلاة على سيدتنا

«ومنها»

قصة (مركبوس) — وهو أول من عرف من شعراء الحرب الصليبية
الاندلسية (سنة ١١١٤) الى سنة ١١٢٤ وهى التى انتخب فيها (الفونس) السابع
رئيساً ولقب بالامبراطور وقد بدأ الشاعر شعره بما يأتى :
ان الله الذى يعلم كل ما هو كائن وكل ما كان وما يكون قد وعدنا نعمه
بواسطة امبراطور اسبانيا . عجبا هل تعلمون ما ينال من الفضل أولئك الذين
يتطهرون فى الحوض المقدس وينصرون الله من تعدى الوثنيين فى بلاد العرب
وطغيانهم ان مجدهم ليكون أبهى من الشهاب الذى تهتدى به فلك البحار ان
أمة الكلاب التى ظهر فيها ذلك النبي الكاذب وأولئك الرجال الخائنون الذين
هم أتباع ذلك الرئيس المبتدع قد كثروا فيما يلى الشواطىء والشغور حتى لم يبق
أحد يعبد الله فعلمنا أن نطردهم بفضل الحوض المقدس مسترشدين بالمسيح
لنقضي أولئك المحقرين الذين يعتقدون بالسحر والطوالع

«منها»

حكاية (جوتقل) — وفيها صيغة اليمين الذي حلفه الامراء المصريون بين
يىدى سان لويس ملك فرنسا لما دخل تلك البلاد وهى نعاهدك على الطاعة واذا
خنا فعلينا لعنة من يرتكب ذنباً ويذهب الى الحج بمكة ليزور محمداً ورأسه
مكشوفة ولعنة من يطلق امرأته ثم يراجعها لان من طلق امرأته فشرية محمد
تقضى عليه أن لا يراجعها الا بعد أن ينكحها غيره وأنهم ان خانوا عهودهم
مع الملك فعليهم لعنة المسلمين الذين يأكلون لحم الخنزير وقد قبل الملك منهم
هذه الايمان لان نقولا العكاوى الذى كان يعرف المسلمين قال انهم لا يستطيعون
أن يغفلوا أيمانهم أكثر من ذلك

ومما جاء فيها أيضاً قوله ان الامراء أرادوا أن ينكثوا عهده اطاعة لاوامر
القرآن فقال أحدهم اننا اذا قتلنا الملك بعد أن قتلنا السلطان يقول الناس ان
المصريين أقبح الناس وأشدهم خيانة وكفراناً وقال آخر حقاً نحن كنا من
الاشرار بتخلصنا من سلطاننا الذى قتلناه لاننا خالفنا أوامر محمد الذى يأمرنا
بالاحتفاظ على سلطاننا كما نحفظ على العيون ولكن اسمعوا أمره الثانى
المكتوب فى الكتاب ثم تصفح ورقة من الكتاب وقرأ حافظوا على الشريعة
بقتل أعداء الشريعة فنحن خرجنا عن أمره لما قتلنا السلطان ثم اننا نخرج عن
أمره أيضاً اذا لم نقتل الملك مهما كانت عهودنا معه لانه أكبر أعداء الشريعة
الوثنية

وحكى جواتقيل قصة دارت بين رجل من رجال الملك وشيخ من المسلمين
فى سوق دمياط تبادل فيها الحديث على الدين فقال ذهب حنا أرمين أحد
عساكر الملك الى دمياط ليشترى قروناً وجلوداً كي يصنع منها نبالا فوجد
رجلا شيخاً كبيراً جالسا فى السوق فناداه وسأله ان كان نصرانياً فأجابه نعم

فقال له الشيخ انكم حقاً تكرهون بعضكم أيها النصاري ولا في شاهدت مرة
 ان ملككم المسمى (بدوان) كسر صلاح الدين ولم يكن معه الا ثلاثمائة مقاتل
 مع ان جيش صلاح الدين كان ثلاثة آلاف واليوم قد وصلتكم بذنوبكم الى حالة
 جعلتنا نأخذكم في الحقول أخذ الماشية فقال له حنا يجب عليك أن نمسك عن
 ذنوب النصاري لان ذنوب المسلمين أعظم وأشد فقال له المسلم انك أجبت
 بغير تعقل فسأله حنا ولم ذا فقال له انه سيخبره بالسبب ولكن يسأله قبل
 ذلك ان كان له ولد فأجابه نعم ولد ذكر فقال له أي الامرين أشد وقعاً في
 نفسك لطمك باليد على وجهك مني أم من ولدك فقال له حنا اني أغضب من
 ابني اذا ضربني أكثر مما لو ضربتني أنت فقال له المسلم اذن أجيبك على سؤالك
 الاول وهو انكم تعتقدون بأنكم أولاد الله المسيح الذي سميت مسيحيين عنه
 وأنعم عليكم كثيراً حتى جعلكم تعرفون الشر من الخير ولذلك فان الله يغضب
 منكم اذا فرط منكم ذنب صغير أكثر منا اذا صدر عنا جرم عظيم ونحن
 جهلاء جداً الى حد أننا نعتقد النجاة من ذنوبنا لو اغتسلنا قبل الوفاة لان محمداً
 قال لنا بأننا نظهر من ذنوبنا بالماء عند الممات

ومما يلذ ذكره ما كان يعتقد الصليبيون في مذهب الشيعة عند
 المسلمين قال اليسوعي (ايف بريطون) وكان يعرف العربية يروي عن
 اعتقاد شيخ الجبل رأيت أن شيخ الجبل لا يعتقد بمحمد ولكنه يعتقد
 بشرع على عمه وعلى هو الذي رفع محمداً الى درجات الشرف التي أوصل اليها
 فلما انتهى اليه الامر وصار أميراً على الامة احتقر عمه وأبعده فلما رأى على
 ذلك جمع اليه من أحبه من الناس وعلمهم شرعاً غير الذي أملاه محمد ومن
 هنا جاء ان اتباع على يقولون ان اتباع محمد كفرون ويقول اتباع محمد ان اتباع
 على كفرون ومن معتقدات احزاب على ان الرجل الذي يموت في تنفيذ
 اوامر ربه تذهب روحه فتحل جسداً تسعد به أكثر من سابقه ولذلك فان

المقاتلين لا يهابون ان يقتلوا أنفسهم متى امرهم الامير لاعتقادهم انهم
سيسعدون بالموت اكثر مما لو كانوا احياء ومن معتقداتهم أيضاً انه لا يموت
أحد قبل اليوم المحتوم لاجله مع انه يجب ان لا يعتقد احد مثل ذلك اذ في
قدرة الله ان يطيل الحياة او يقصرها والبدوي يعتقدون ذلك ولهذا فانهم
لا يلبسون الزرد اذ حاربوا كيلا يخالفوا أوامر شرعهم واذا لعنوا أولادهم
قالوا لهم عليكم لعنة الكافرين الذين يخافون الموت فيلبسون الزرد
والصفائح قال صاحب القصة وقد رأيت كتاباً موضوعاً ناحية رأس شيخ
الجل في أقوال كثيرة مما قاله الرب للقديس بطرس عند نزوله الى الارض
فأوصيته بتلاوة تلك الاقوال لانها اقوال طيبة فأجابني ان هذا شأنه لانه
يحب القديس بطرس اذ في بدء العالم لما قتل قابيل انتقلت روحه الى نوح
فلما مات نوح انتقلت منه الى ابراهيم وانتقلت من بعده في جسم القديس
بطرس لما نزل الرب الى الارض فلما سمع منه ايف اليسوعى ذلك قال له ان
اعتقاده لم يكن سليماً والى عليه كثيراً من التعاليم الطيبة ولكنه لم يرد ان
يصدق بها

« ومنها »

قصة تيربان الكاذب — وهي حكاية موضوعة لا يؤخذ منها سند في
التاريخ ولكنها احتوت على ما كانت عليه الاخلاق والافكار في القرن التاسع
والمرجح انها انشئت في القرن العاشر وكانت في زمانها منتشرة راسخة في
الاذهان ولكنها اليوم معدودة من الاقاصيص المخترعة باتفاق ولاحتوائها
على ما ذكرنا رأينا ان اقتطاف طرف منها مفيد في موضوعنا ففيها كلام
طويل عن صنم محمد وكيف ان الملك العظيم شارلمان لم يتمكن من ابادته كما
عجز عن ذلك غيره من النصارى قال لما دخل شارلمان بلاد اسبانيا امر رجاله

فكسروا جميع الاوثان والاصنام ما خلا الصنم الموضوع في بلاد الاندا
الذى يقال له سلام ومعنى سلام باللغة العربية الله والمسلمون يقولون ان
الصنم من صنع سارعههم محمد ولذلك يعظمونه ويعلمون قدره ومحمد هو شار
كاذب وقد صنع ذلك الصنم من العفاريت بسحره وجعله بسحره من الق
بحيث لا يقدر احد على كسره فاذا اقترب منه احد من النصارى يموت
الحال واذا دنى منه مسلم ليعبد محمداً ويصلى له يعود بدون جرح يصيبه و
ضرر واذا وقف عليه طأمر مات في الحال وتلك الصورة موضوعة
حجر قديم غاية في الصنع والاتقان من صناعة بني ساره على شاطئ الب
في أرض فسيحة مربعة ويبلغ ارتفاعه مبلغ ما يناله الطير في ارتفاعه والصو
المذكورة هي من معدن غال على شكل رجل قائم على رجليه ووجهه
الجنوب وييده اليمنى مفتاح كبير الحجم يعتقد بنو ساره انه يسقط
تلك اليد يوم يولى في بلاد الغلوا (فرنسا) ملك تدين له جميع بلاد اسب
ويعدل الشرائع النصرانية على حسب الزمن الجديد ومتى رأى بنو ساره
المفتاح قد سقط يخفون كنوزهم في الارض ويهربون
ومنها

المرآة التاريخية — طبعت أول مرة سنة ١٤٨٢ وهى لرجل من أصح
دومينيك يقال له (فنان دى بوفى) المتوفى سنة ١٢٦٤ وضعها بناء
أمر الملك (سان لويس) وخصص أحد فصولها وهو الرابع والعشرون من الج
الرابع لتاريخ محمد ويقول المؤرخون انه أخذ كثيراً عن العرب ولكننا
أخذ أكثرها من قصة تربان الكاذب واليك المواضيع التى تكلم عنها
الفصل المذكور الاول بدعة التوحيد والبرنسيس يعنى بها السيدة خديجة
وشريعة محمد وفى هذا الموضوع يذكر قصة الحمامة التى تعلمت أن تقف

كتف النبي لتلتقط الحب من أذنه وقصة الثور الذي استأنس
 الثاني سرقات محمد وخداعه وفضائعه وفيه يذكر أن النبي كان يقتل ويخنق
 كل من رآه ومن هنا جاء وهم الناس بأنه كان نبياً فتاكا
 الثالث قذارة شريعة محمد وخرافتها وكيف وجد القرآن وفيه يذكر حكاية
 الراهب سرجه الذي قيل انه علم النبي العهدين القديم والجديد
 الرابع حق اتباعه وتعصبهم الاعمى وصيام المسلمين الكاذب وغسلهم
 والحج الى البيت بمكة واعتقادهم بنزول الوحي فيه والاصنام التي أبادها
 شارلمان والتي أقامها

﴿ كتاب البابابي الثاني ﴾

﴿ الى السلطان محمد الثاني ﴾

كتب اليه عقب سقوط القسطنطينية في يد الاتراك واندثار دولة الشرق
 وتزعزع دولتي ايطاليا واليونان وقد اجتمع خلق لا يحصى عددهم لينتظموا
 في سلك الصليبيين تحت امرة اسكندر بك (وماتياس كورفين) ورأى
 البابا وهو (بي) الثاني ان الخطر على النصرانية يزداد بتمكن الترك واستتاب
 الامور لديهم فظن انه ليس من المستحيل حمل السلطان محمد على اعتناق الدين
 المسيحي وبذلك يوقفه في عنفوان فتوحاته ولهذا كتب قبل أن يرحل عن
 مدينة (انصون) ليسير مع الصليبيين خطابا تقتطف منه ما يأتي وقد نقلناه
 من النسخة الاصلية المكتوبة بيد البابا في المكتبة العمومية الموجودة في
 القسم اللاتيني فصل ١٨١٢٨ نمرة ١٥

من القس بي خادم خدام الرب الى صاحب المجد محمد أمير الاتراك سلام

الله وخوفه

قد أردنا ان نكتب اليكم هذه النصائح حباً في نجاتكم وحفظاً لفخاركم
وميلاً للتخفيف عنكم وتثبيت الهدو والسلام في كثير من الامم ونستميحكم
ان تتفضلوا بالاصغاء الي ما نقول

نحن لا نعتقد فيكم الا انكم الهون ولستم كاهل (كالونه) من بلاد
اسبانيا الذين قيل عنهم انهم لارب لهم ولا اله يعبدون ولا نراكم الا موقدين
يربنا وتعبدون الذي خلق الارض والسموات وما فيهن الله الذي لا يترك
ماخلق ولا نعتقد فيكم أيضاً انكم تجهلون وحدة النفوس البشرية التي اذا
فارقت أجسامنا انتقلت الى مقام آخر فيسكن بعضها جنات النعيم وهي ما
ظهر منها وتسكن الخبيثة جحيم العذاب وليس هذا مذهب خاص بانجيلنا
وبالا نبياء بل جاء به شرعكم أيضاً وان كان خطأ من حيث جاء فيه ان ما
يوجد في هذه الدنيا الفانية من السعادة ناشئ عن الصدفة والعرض

يقال ان شرعكم ينص على ان كل نفس ناجية بدينها على شرط أن تعيش
عيشة خير حتى ولو ترك المسلم الاسلام واعتنق ديناً غيره ويقال انه مكتوب
فيه (وهو كثير ما يناقض بعضه) أن ليس للانسان نجاة الا اذا اعتقده وعمل
به اما نحن فاعتقادنا ان طريق النجاة غير مفتوح الا للنصراني أن اتقى
وأحسن سماً فقد جاء الانجيل بالآية الآتية وهي الحقيقة التي تجلت لنا
(من صدق وعمد فقد نجا ومن لم يصدق فلا نجاة له)

ثم أخذ البابا يعدد ما حصل للاسرائيليين من المحن طبقاً لما جاء في
العهد القديم وقال ومن الصحيح عندهم وعندنا ان شريعة اليهود حقيقة وان
موسى وداود وسليمان واسحاق وحزقيال ودانيال أنبياء حقيقيون وكذلك
جميع رسل الله وحق دين اليهود الذين عاشوا مع المسيح وباطل دين المجوس
وعبدة الاوثان وهنا أتى البابا على خلاصة العهد الجديد وأطال في رسالة
اليسوع وذكر المعجزات الكثيرة التي تؤيدها وان رسالة محمد لم تتأيد بدليل

الهى ألبته ثم استتبع كتابه فقال وأنتم لا تعتقدون معشر المسلمين الا بمحمد
 وقرآنه فانتم تعملون على مقتضى شريعة رجل مات بغير حجة ولا دليل ولا وحى
 ولا تنزيل أما نحن فنعتقد بواحد حى وهنا أيضاً استلفت البابا ذهن سلطان
 المسلمين الى ان الفرق بين الديانتين انما هو فى الاعتقاد بالتثليث فقال وسنوضح
 لكم باجلى بيان ما الفرق بيننا وبينكم من حيث الله نحن نقول أن فى الله ثلاثة
 ذوات الاب والابن والروح القدس وأنتم لا تعتقدون الا بذات واحدة
 لاتسمونها أباً ولا ابناً بل الله وتقولون أنه هو وحده خالق السموات والارض
 وما فيهن ولذلك فبين النصرارى وبني سارة أو الترك خلاف كبير فى الله فأنتم
 تقولون ان الله جسمانى ونحن نقول أنه غير جسمانى وأنتم تقولون أن ما يجرى
 فى الارض يجرى بالصدفة ولا دخل لله فيه ونحن نعتقد بأن الذى خلق كل
 شئ هو الباسط سلطانه على كل شئ وأنتم لا تقولون بالاب فى الالهية ونحن
 نقول به وبالابن وأنتم تنفون الروح القدس ونحن نحقق وجوده ونعبده نحن
 نقول بأن المسيح ابن الله وأنتم تنكرون بنوته ولماذا تنكرون ذلك لان الله
 لا يمكن أن يكون له زوجة يلد منها ولداً ولانه لو كان له زوجة وله اولاد منها
 للزم فساد العالم لتعدد القامئين بامرء وانما العالم بيد رب واحد والوحدانية هى
 عماد الدنيا وحفاظ الممالك والدول أما التعدد فمن لوازمه الفشل وأخص لوازمه
 الخراب والدمار ولكن لم يبلغ النصرانى من الجهل والسخافة وقصر النظر
 ما يحمله على الاعتقاد بأن الله يلد ولداً بواسطة الزواج والاختلاط بالنساء ولم
 يبلغ منا معشر المسيحيين ضنف العقل حتى نقول بمثل هذا الامر الفظيع بل
 ربما جاز تعليم ذلك لبني سارة (المسلمين) الذين يمتقدون أن لله جسماً وله
 رأس ويدان وأعضاء ولكننا نحن نحقق ان الله روح لا تجسد فيه باق لا يموت
 أبداً لاتدركه الافهام. ولننتقل الى تعدد الزوجات وهو ما جاء به شرعكم وأنتم
 ترونه الطف شئ مقبول جاء فيه وانقمه على أنه لو كان تعدد الزوجات مقبولا

عند الله لوهب عبده الذى خلقه أكثر من زوجة واحدة ولم يقل الله أن الرجل
ليترك أباه وأمه ويلحق بازواجه بل قال بزوجه ومن المعلوم أن المحبة الحقيقية
لا توجد بين الرجل وزوجه الا بالمساواة بينهما فبينما الرجل عندكم يتزوج
نساء كثيرة ترى المرأة تلزم رجلاً واحداً فهي كلها له وليس لها منه الا يسير
ومع ذلك فالنوع الانساني لا يكثر بهذه الطريقة لان كثيراً من الرجال لا ذرية
لهم لان عدد النساء أقل كثيراً من عدد الرجال ثم أنه ليس من العدل ولا من
الموافق للحرية البشرية أن بعض الناس يقتنى أزواجاً كثيرة وبعضهم يعيش
أعزب لا زوجة له ولا ينبغي لنا أن نقول بتعدد الزوجات لكونه عادة قديمة
ولان أباء الامم الاولين كانوا يتزوجون باكثر من واحدة لانهم لم يفعلوا
ذلك بنص في الشرع ولا تبعاً لشهواتهم بل تلك مزبة اختصهم بها الله اكبر
يكثر نسلهم فيخلفهم من يقوم بعبادة الله بعدهم وانا اضرب صفحاً عن الطلاق
الذى تبيحونه ضد ما جاء في الشرع الانجيلي وعن الزنا والميل الى اللذات
الجسمانية وغيرها من الجرائم التي حرمتها الشريعة القديمة وحظرتها الجديدة
ومع ذلك يظهر أنها مباحة عندكم

ثم أخذ البابا يقابل بين النعمين الذين وعدهما الشرعان للناس وختم
كتابه بدعوة السلطان الى اعتناق النصرانية فقال ان للاخيار سعادة أبدية
ليست في اللذائذ البهيمية أو الامور التي تخالف مقتضى الحشمة والوقار وليست
على سرر ترتاح فيها الاجسام بل السعادة هي راحة النفوس وحب اليسوع
الذى يفوق كل لذة في الوجود فلتذكروا قولنا ولتقبلوا نصيحة محب لكم
وادخلوا في معمودية المسيح واستحموا باستحمام روح القدس واعتنقوا
الانجيل المطهر فان أبيتم نصائحنا تبدد مجدكم كما يتبدد الدخان ومتى متم بكيفية
الناس مات معكم كل شيء أما اليسوع فهو وحده سلطان الامم الى الابد فله
المجد الاعلى والجلال الاكبر ابد الابدين. ودهر الداهرين آمين

﴿ الملحق الثانى ﴾

(كتاب سان أوغستان الى الكونت بونيفاس)

ننقل هنا ترجمة موسيو بوجولات الفرنساوية أهم مواضع الكتاب الخامس والثمانين بعد المائة الذى كتبه سنة ٤١٧ القديس أوغستان الى الكونت بونيفاس حاكم افريقيا فى ذلك الحين ليؤيد القسوة التى استعملها الامبراطور (هنريوس) مع أحزاب (دونا) وأولى بمن يتسرع الى ذم هذا الكتاب نظراً الى الافكار المألوفة فى العصر الحالية أن يلتفت الى المبدأ الحكيم الذى أدخله فى التاريخ موسيو (لافيس) وسماه مبدأ شرعية التعاقب فان ذلك يجعل المؤلف على حذر فى حكمه على الحوادث لانه يعلم أن المذاهب تتغير وان الحاضر ليس على الدوام موصلاً الى الحكم على الماضى فكم من فكر اندثر ولا بد أن يرجع للاذهان وكم من مذهب مقبول اليوم سيندثر قال موسيو (فرانس) جميع المبادئ التى يقوم بها نظام الهيئة الاجتماعية فى هذه الايام كانت قبل رسوخها فى الازهان وصيرورتها نافعة معدودة من المبادئ المضرة المخالفة للنظام كما أن المنافع الاجتماعية هى التى كانت حجة من ذهب الى المسالمة ومن مال الى العسف والقسوة

قال صاحب الكتاب

لقد جرى لاحزاب (دونا) كما جرى لمتهمى دانيال فان القوانين التى أرادوا أن يظلموا بها بريثاً استعملت ضدهم كما انقلبت الاسود على متهمى الرسول لكن من لطف المسيح ترى تلك القوانين أحسن فى الواقع لاصحاب (دونا) مما يظنون فهي تعيد الى الحق كل يوم فريقاً منهم وقد يشكو المريض المتهيج مرضه من طبيب يشد وثاقه ويشكو الولد الخارج عن سلطة أبيه.

من والده اذا أدبه وكلا الاثنين (المريض والولد) محبوب فتركهما وشأنهما كما يريدان رافة قاسية وان الفرس والبغل وهما من العجماوات يقاومان من يضمم جراحهما وربما كان منهما ما يخشى منه على حياة القائمين تمريريهما ومع ذلك لا يتركهما المطبب حتى يستعمل الدواء على الداء فيحصلان على الصحة وفي الناس خلق كثير لا يجوز تركهم خوفا من الهلاك ومتى عاد الرجل منهم إلى هداه يعلم أن الذي كان يراه قسوة وظلماً ليس إلا نفعاً واحساناً ولو أردنا الوقوف عند حد الحقيقة لرأينا أن القسوة الظالمة هي التي يستعملها الكافرون ضد كنيسة المسيح وان القسوة الشرعية هي التي تأتيها كنيسة المسيح ضد الكافرين وهي سعيدة ان أصابها العذاب في طلب العدالة وهم أشقياء اذا أصابهم العذاب وهم في طلب الباطل والكنيسة تعذب محبة فيمن تعذب وغيرها يقسو بعامل الحق والبعضاء فهي تدعو الى الحق وهم للحق كارهون وهي ترمي الى النجاة من الظلمات وهم فيها خالدون

ولقد اشتدت وطأة المبتدعين على النصارى من خدمة الدين وغيرهم فكانوا بين حالين أما ان يخفوا الحق وأما أن ينالوا ما تستطيعه الهمجية من أنواع القسوة والتعذيب . ومعلوم أن السكوت عن الحق لا يرجع أحداً عن الغواية بل أن في ذلك مدرجة ليدخل في الباطل كثير من قومنا ومن جهة أخرى فان الاعلان بكلمة الحق كان من شأنه أن يثير غضب المبتدعين وذلك يلحق الاذى بمن قرب عهد رجوعه اليينا ويمنع ضعفاء العزائم من سلوك الطريق المستقيم في هذه الحالة يجوز أن تلزم الكنيسة جانب السكوت وتحمل هذا كله ولا تطلب معونة الله من انقياصرة المسيحيين أنه ليس من علة ولا حجة تقوم في جانب ذلك الاهمال

ان الذين كانوا لا يريدون ان توضع لردعهم عن غيهم قوانين عادلة يقولون أن الرسل ما كانوا ليطلبوا مثل ذلك من ملوك الارض وقد غفلوا.

عن أن زمانهم ليس زماننا وان الامور مرهونة باوقاتها فاي قيصر في ذلك
الزمن كان يعتقد بالمسيح حتى كان يضع من القوانين ما يؤيد دين الحق
ضد أهل الضلال لكن بعد أن حقت كلمة المسيح وصدق القول بان جميع
ملوك الارض سيعبدون الله وان جميع الامم ستخدمه لم يبق من رجل عاقل
يشير على الملك بعدم الاشتغال بمن يدافع عن كنيسة ربه ومن يخرج عليها
ولا بمن يعتقد بالله أو يكون من الكافرين وفي الحقيقة حيث أن الله أودع
الاختيار في الانسان فليس من مرجح يحمل على معاقبة من يزني مع عدم
عقوبة من يكفر بالله كأن الكمر بالله أصغر جرماً من خيانة المرأة لزوجها
أو ان قلة العقوبة على الذنوب التي يرتكبها الناس لجهاهم بالدين لا لاحتقارهم
ايه تصح أن تكون سبباً في عدم العقاب . هل من رجل كان يمكنه أن يقول
لملكه أيها الملك لا شأن لك في هذا فدع الناس من اتقى منهم ومن خفر . نعم
ليس من يشك في ان استجلاب النفوس لعبادة الله بالتعليم والتهذيب أولى من
الزامهم بها بواسطة القهر والارهاب ولكن لوجود قوم تسهل لهم معرفة الحقيقة
لا ينبغي اهمال من ليسوا على شاكلتهم وقد دلتنا التجارب ولا تزال تدلنا
على ان الخوف والالم أفاد كثيراً في حمل كثيرين على التعلم أو العمل بما تعلموا
يعترضون علينا بما قاله أحد الكتاب (أرى ان رد جاح الاطفال بمؤثر
الخزي وحب الاستقامة خير من الوصول الى ذلك بالتخويف والارهاب)
فقوله صحيح في جانب من أمكن اصلاحه بعوامل الاحساس ولكن الخوف
هو لجام السواد الاعظم من الناس وقد علمتنا التوراة ان الابن كالخادم يجب
تأديبه بالعقاب فان في ذلك فائدة كبرى لانك تضربه بالسوط ولكنك تخلص
روحه من الفساد وكثير من الخدم والاتباع يردون الى سادتهم بالسوط
والآلام الجسدية

اعتاد قوم على الشكوى من التشديد وقالوا ان المرء حر في أن يعتقدا ولا

يعتقد وان المسيح لم يستعمل القهر مع أحد من الناس ولكننا نذكرهم بالرسول .
 بطرس فان المسيح قهره على اعتناق دينه وعلمه بعد ان ضربه ثم بعد ذلك طيب خاطره
 لم ان الكنيسة لا تلجى أبناء الذين ارتدوا عنها الى العودة اليها بالقهر
 واستعمال الشدة كما انهم اجتهدوا في اضلال غيرهم مثلما ضلوا نعم قد تستعمل
 الكنيسة فوانين صارمة لرد من خرج عنها بغير القهر الا ان في تلك الشدة
 فائدة والكنيسة تحفظ لهم عندها صدى رحيم وتفرح بعودتهم أكثر مما تفرح
 باتباعها الذين لم يضلوا سبيلها كالراعى يجب عليه أن يعيد لسيدة الشاة التي
 أخذت منه بالحيلة كالتى أخذت بالقهر فان عصته ضربها حتى استردها

يدعون بانه لا يجوز أن يقهر المرء على الخير ذلك لانهم رأوا انا لانقهرهم
 على غيره الا ان الله أمر أن يؤتى بالناس الى سماطه فان خالفوا أجبروا فلما
 قال له الخدم ان أوامره نفذت ولكن المكان لا يزال فسيحاً قال لهم انطلقوا
 في الطرقات والحضائر وأتوا بمن لا يقيمونه وان قهراً وفي كلامه حكمة فان من
 أقبل طائعاً فهو كمن اعتنق الذين بالسهولة ومن عصى فانه يمثل لنا المذنب
 الذى جوزى على عصيانه

قبل أن تشر القوانين القاسية فى أفريقيا لمل أصحاب دوناعلى الدخول
 فى الدين القويم ذهب كثير من أخوانى وقرنائى وأنا معهم الى انه لا يجب
 أن نطلب من القياصرة اباداة مذهبهم بتوقيع العقوبات عليهم وذهب آخرون
 وهم الاكبر سنأفينا الى خلاف ما ذهبنا واحتجوا بان كثيراً من البلاد
 انما دخلت فى ديننا بما وضعه الملوك من القوانين التى كانت تلجئهم الى ذلك
 شدة وقسراً ومع ذلك قر القرار على أن لا نطلب من الملوك قسوة ولا شدة
 وان يكتفى بتفريم كل حبر أو قس غير كاثوليكي عشرة جنيهاً وقام نوابنا
 لتبليغ ذلك ولكن حكمة الله قضت أن يعود رسلنا خائبين ذلك لان الله
 يعلم ان الخوف وصرامة القوانين لا بد منهما فى اصلاح كثير من النفوس التى
 حادت عن الحق وان الشدة تنفع حيث لا ينفع الوعظ ولا يجدى الخطاب

* الملحق الثالث *

(مقابلة)

بين الصيغة التي يقولها مسيحي يعتنق الاسلام

والتي يقولها مسلم يتنصر

الصيغة التي يقولها المسيحي في اسلامه نقلا

عن كتاب ابن سامون قاضى مدينة

قرطبة بالجزائر المتوفى في

القرن الخامس من

الهجرة

يعلن المسيحي فلان انه يرفض الدين المسيحي عن اعتقاد وانه يعتنق ديانة الاسلام عن اعتقاد لانه يعلم ان الله ليس له نظير وانه نسخ بالقرآن ما أنزله ما أنزله قبله من الكتب والشرائع والاديان ويشهد المسيحي المذكور ان لا اله الا الله وان الله ليس له شريك وان محمداً عبده وخاتم رسله وأنبيائه وان المسيح ابن مريم هو عبده ورسوله وان الله أرسل أحد ملائكته الى مريم ليخبرها بانها ستلد عيسى وانها حملت من روحه تعالى وبهذا خضع المسيحي المذكور لجميع أوامر الاسلام الالهية المتعلقة بالوضوء والصلاة والزكاة والصيام وغيرها ويعلم ما يترتب على تركها من العقاب كما يعلم المحرمات الواجب الامتناع عنها وعليه فانه مال الى الاسلام حباً فيه ويحمد الله على هذه النعمة التي انعم بها عليه فألهمه اعتناق هذا الدين هذا هو ما قاله المذكور قولا مجرداً عن الخوف وخالياً عن كل تأثير لانه لا يجب أن يقهر المرء في الدين

الصيغة المستعملة في الكنيسة البيوتانية

خروج المسلم عن دينه

رأينا اتماماً للفائدة أن نقرن الصيغة السابقة بصيغة غريبة مستعملة في

في الكنيسة اليونانية نقلناها من كتاب سيلبورج المطبوع سنة ١٥٩٥
ويلاحظ القارئ ما احتوت عليه من الخرافات في صيغ السباب الموجهة الى
محمد ودينه وفي الواقع لا يفهم الرجل الذي يخرج عن الاسلام ذى المبادئ
السهلة البسيطة من تلك اللعنات المتتابعة شيئاً ومن المحتمل ان هذه الشتائم
وضعت ليقولها من يخرج عن النصرانية ثم يعود اليها لاننا رأينا فيما تقدم
ان المسلمين لا يعدلون عن دينهم كما شهد به المرسلون في بلاد الشرق والجزائر
واذ كان هذا شأن المسلمين في هذه الايام حيث الامم المسيحية ذات اليد العليا
في الممالك الاسلامية فما ظنك بها أيام القرون الوسطى حيث كان الاسلام يتهدد
بقاء الديانة النصرانية في الوجود والصيغة المذكورة مكتوبة باللغة اللاتينية
وقد ترجمناها الى اللغة الفرنسية وهي بنصها

الصيغة الواجبة ملاحظتها على من ينتقل من

دين بنى سارة الى ديانتنا الطاهرة

الحقة المسيحية

فأولا يجب على المريد أن يصوم أسبوعين ويتعلم الصلاة التي علمنا اياها
سيدنا عيسى اليسوع في أناجيله المقدسة وكذلك علامة الدين وبعد ذلك
يلبس القس ثوبه الكهنوتي ويأتى بالمريد في حضيرة التركيز بحضور المؤمنين
الذين يرغبون في الحضور [ويوقفه امام الهيكل مكشوف الرأس ثم يقول له
انت يا من يترك اليوم ديانة بنى ساره من غير ان تكون مجبوراً على ذلك
ولا خائفاً أو مغشوشاً بل باختيارك عن طيب نفس وقلب طاهر محب للمسيح
ودين المسيح قل كما أقول انى أقلع عن ديانة بنى سارة كلها وألعن محمد الذي
يمجده بنو ساره ويقولون انه نبي الله ورسوله فيظهر المريد رضاه بنفسه ان
كان يعرف اللغة اليونانية أو بواسطة مترجم ان جهلها أو بواسطة وصيه ان
كان قاصراً ويتلو القس بعد ذلك الصيغة الآتية والمريد يكررها من بعده

فاذا تم القول قال القس فلندع الرب والناس يجيبونه رب ارحم الى آخر صيغة الدماء ويختمون بلفظة آمين ويبارك القس المريد ويصرفه ويصير نصرانياً من اليوم الثاني لهذا الاحتفال

أما ما يقوله القس ويكرره المتنصر فهو ما يأتي

أنا الذى فى هذا اليوم أترك ديانة بنى سارة حبا فى الديانة المسيحية بغير ادنى اكراه ولا اضطرار ولا غرور ولا غواية بل عن طيب نفس محبة فى المسيح ودين المسيح انى أقلع عن ديانة بنى ساره ويقولون انه نبي الله ورسوله والعن علياً صهر النبي والحسن والحسين ولديه وابا بكر وعمر وطلحة ومعاوية وزيداً واليزيد والسيد وعثمان وجميع صحابة محمد وأنصاره وخلفائه والعن سيدة وعائشة وزينب وأم كلثوم وزوجات محمد الاولى ثم البقية التى هن أكثر جرماً ومعهن ابنته فاطمة والعن ما يقال له القرآن أعنى به سفر محمد أو كتابه الذى ادعى انه نزل عليه من السماء على لسان الملك جبريل وكذلك مذهبه بأجمعه وقواعد دينه وقصصه الكاذبة وأسراره وسننه وما أتى به من الكفريات

والعن جنة محمد التى يقول ان فيها أربعة أنهار تجري فيها المياه العذبة ولبن لا يحمض وخر لذيذ وعسل نقي ويقيم فيها بنو ساره يوم القيامة التى تقوم بعد خمسمائة ألف عام مع نسائهم منهمكين فى الشهوات البدنية ويجلسون تحت شجرة سدرية ويأكلون من الطيور ما يشتهون وجميع فواكه الخريف ويشربون من عين الكافور وعين الزنجبيل التى تسمى سلسبيلا ويشربون أيضاً نبيذاً مزاجه من تسنيم وتعظم أجسادهم حتى تبلغ السماء طولا رجالا ونساء ويتمتعون بالعشق والغرام بدون ملل بحضرة الله لانه يقول ان الله فوق كل حياء

والعن الملائكة الذين يسميهم محمد هاروت وماروت والعن أحاديث محمد وما نقله عن العهد القديم والعن ذلك المذهب الكاذب وذلك الوعد الذى

يدعى فيه محمد انه سيكون فاتح الجنة وانه يدخلها سبعون ألفاً من بنى ساره
الصادقين وان الله يحكم فى المجرمين فيغلون بالسلاسل من رقابهم ثم يدخلون
الجنة أيضاً ويقال لهم عتقاء محمد

والعن شريعة محمد فى الزواج والطلاق وتطهير الزانيات وعدد الزوجات
والسرارى وجميع مذهبه المنجس فى جميع هذه الاشياء

والعن ما جاء به محمد من السب فى الله حيث يقول انه يفضل من يشاء
ويهدى من يشاء وان الله لو شاء لقتلنا بعضنا بعضاً وانه يفعل ما يريد وانه
فاعل الخير والشر معاً وهكذا الصدفة والبخت هما المؤثران فى كل شىء

والعن ا كذوبة محمد التى يقول فيها ان سيدنا والهناء عيسى اليسوع هو
ابن مريم أخت موسى وهارون وانه ما ولد من اللحم بل حملته أمه من روح
الله وانه قلد الطيور لما كان صبياً من الطين ونفخ فيها فصارت حية وألعن
مذهب محمد الذى يقول فيه ان المسيح ليس ابن الله بل نبي الله ورسوله لانه
ليس لله شريك وان الذين يقولون ان المسيح شريك الله سيعذبون فى نار

جهنم

والعن قول محمد ان لله فى مكة بيتاً للصلاة بناه ابراهيم واسماعيل يسمونه
الكعبة ويأمر بان المصلين يولون وجوههم قبله أينما كانوا وألعن ذلك المعبد
نفسه الذين يقولون ان فى وسطه حجراً كبيراً يمثل الزهراء ويقدسون هذا
الحجر كما يقدسون الحجر الذى يقال بان ابراهيم تعرف عليه بهاجر أو عقل
فيه جملة لما أراد أن يقرب اسحاق وبان الذين يزورون هذا المعبد يضعون
احدي اليدين فوق الحجر ويمسكون الاذن بالثانية ثم يدورون حوله حتى
يأخذهم الدوار فيخروون الى الارض وألعن مكة ذاتها وأرضها كلها والحجارة
السبعة التى يرمىها بنو ساره ضد المسيحيين وجميع صاواتهم وعباداتهم
وشعائرهم ومذاهبهم

وألعن قصة محمد في الناقة التي يقول انها خصصت لله فعمقروها فانتقم منهم
لأجلها وألعن الذين يعبدون نجم الصباح أعني بها الزهراء والشعري التي
يسمونها الكبرى

وألعن جميع قواعد محمد التي يشتم فيها النصارى ويقول انهم كفرون
ومشركون ويهيج بني ساره على قتلهم وابدانهم ويقول ان مقاتلتهم هي طريق
الله وان من مات من بني ساره في محاربتهم يكونون من أبناء الله ولهم الجنة
وألعن تعاليم محمد النجسة في الصلاة حيث يقول ان من يجد ماء فليأخذ
تراباً دقيقاً ويمسح به وجهه ويديه وألعن قول محمد ان الانسان خلق من طين
وقطرة ماء ودود الحكمة ومادة متأكلة

وفوق ذلك كله ألعن اله محمد الذي يقول عنه انه إله فرد كامل لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفواً أحد

وعليه ألعن ما تقدم كله ومحمداً نفسه وإلهه الكامل وأبتعد عنه والتحق
بالمسيح وهو الحق وحده وأعتقد بالاب والابن وروح القدس
ثم يتبع ذلك تلخيص المذهب المسيحي ويختم المرید الصيغة بالعباراة الآتية
واذا كنت أقول ما أقول عن غش أو خيانة لا عن اعتقاد ويقين وقلب
يجب اليسوع فعلى اللعنة ولتكن روحى مع الشيطان

« الملحق الرابع »

(قتلى مراکش)

أصح تاريخ عن المرسلين الخمس الذين قتلوا في مراکش يوم ١٦ يناير سنة
١٢٢٠ هو ما كتبه قس مدينة لسبون ورئيس اليسوعيين الذين يقال لهم
القصر بناء على شهادة رجل حضر الواقعة وكان من أركان حرب (دون بدرو)
ونحن ننقل ملخصاً عن تاريخ القديس (فرنسوا داسيز) الذي ألقه القس (مونييه)

كان وصول البعثة الى مدينة شيبيليه من الاراضى الاسلاميه وبقى
المرسلون مختفين ثمانية أيام بمنزل أحد المسيحيين ثم قويت عزائمهم بالصلاة
وأرادوا أن يبدأوا رسالتهم بعمل عظيم لذلك خرجوا الى مسجد اجتمع
فيه المسلمون للصلاة فلما رأهم المصلون ظنوا انهم من المجانين لما هم عليه من
اللباس الغريب فاكثفوا بطردهم من الجامع بالعنف فذهبوا الى مسجد
أكبر من الاول فلاقوا فيه مثل ما لاقوا في الاول وحسبوا ان عدم نجاحهم
مسبب عن كونهم لم يبدأوا بأعلى مكان في المدينة وقالوا لبعضهم علينا
بالرئيس فان اصغى الينا سهل انقياد رؤسياه ثم توجهوا الى قصر الحاكم
وزعموا انهم مرسلون من قبل ملك الملوك وأخذوا يعظون من فيه ضد
محمد ولم يسهم أحد بسوء حتى اذا سمعهم الحاكم عجب من جرائتهم وأمر أن
تقطع رؤوسهم فشفع فيهم لديه ابنه وتبدل الامر بسجنهم في أحد الحصون
فلما صاروا بداخله صعدوا الى منصته وجعلوا يلقون وعظهم على المارة غير
مبالين فصدر الامر بنفيهم الى بلاد مراکش مع عدد من المسيحيين ففرحوا
مستبشرين بكونهم سينشرون علم الصليب في بلاد الكافرين وكان يوم
نزولهم على تلك البلاد يوماً عصفت فيه العواصف فظنوا ان الله كتب لهم
النصر في تلك البقاع وكان (دون بدور) أخ الفنس ملك البرتغال قد اختلف
مع أخيه فرحل الى بلاد مراکش واحتفى فيها بظل أمير المؤمنين على بن
يوسف الذي حكم سنة ١١٠٦ الى سنة ١١٤٣ وكان من عادته الاحتفاء
بالمسيحيين وتقليدهم أعلى المناصب حتى اختار له منهم حرساً عدده الف نفر
وكان (دون بدور) معروفاً بالبسالة وحسن السمعة فالت اليه القلوب وولاه
الملك على نصرانيته قيادة الجنود الاسلاميه وكان متمسكاً بتقاليد طائفته فلم
يخف من استقبال المرسلين على مشهد من الناس ووعدهم معوثته وسألهم
أن يكونوا في أمرهم متبصرين حتى لا يصيبهم السوء فوعده وكانوا في

وعدهم صادقين ولكن جاش بهم حب رسالتهم فلم يتما لكوا أنفسهم بل خرجوا من اليوم الثانى وجعلوا يعظون الناس بدين اليسوع فى الطرقات وبعد أيام صعد أحدهم على عربة وبينما هو يحطّب فى الناس بالعربة اذ مر به الملك ذاهبا لزيارة اضرحة اجداده فعوضاً أن يسكت الخطيب وكان اسمه الاخ (بيرار) كما كان يفعل المسلم نفسه ضاعف فى الوعظ واشتدت لهجته وهو عمل لا يستطيع أحد أن يأتيه هذه الايام فى بلاد مراكش لان المسلمين يقطعونه اربا غير مباينين بما عساه يصيبهم من نقمة المسيحيين ذلك لان مسالمة المسلمين للمسيحيين فى القرون الوسطى أيام التمدن الاسلامي كانت أكبر منها فى هذه الايام فلما علم الملك انهم مسيحيون وانهم يدعون الناس الى دين المسيح غضب من قعتههم وأمر بارجاعهم الى بلادهم فخرن (دون بدور) لهذا الامر ولكنه لم يقع عنده موقع الاستغراب ولم يمنع عن المرسلين مساعدة بل اصحبهم برجال من عنده الى الثغر الذى يركبون البحر منه فهرب المرسلون من اصحابهم ودخلوا مدينة مراكش مرة ثانية ونما خبر عودتهم الى أمير المؤمنين فرأى من عملهم امتهانا لسلطته وأمر بزجهم فى السجن فقضوا فيه عشرين يوما مضيقاً عليهم أشد التضيق ثم شفع فيهم (دون بدور) فاستصحبهم الملك فى جيش خرج به لمحاربة بعض القبائل المتمردة بصفة وحافظ للمسيحيين الذين معه فلما عادوا الى مراكش عادوا الى الدعوة ولم يقتصروا على عامة الناس فى الازقة والطرقات بل صاروا ينتظرون الامير فى ممره ويدعونه الى دين المسيح فرأى أنهم لن يعدلوا عن غيرهم وأمر أحد قواده وهو أبو زائدة باعدامهم واجتهد أبو زائدة فى ردهم عن فعلهم فلم يفلح لذلك أنفذ فيهم أمر سيده فى ١٦ يناير سنة ١٢٢٠

(مقابلة القديس فرنسوا داسيز مع سلطان مصر)

في معسكر دمياط سنة ١٢١٦

كان القديس فرنسوا داسيز مغرماً بحب الدعوة الى الدين المسيحي وعلى الخصوص بادخال الانجيل في البلاد الاسلامية ولذلك فانه استصحب الاخ ايلوميني ولحقاً بجيش (حنا دى بريان) المقيم على مقربة من مدينة دمياط في الحرب الصليبية الخامسة وبعد أن أقام فيه اياماً عزم على التوجه الى معسكر السلطان فأشاروا عليه بالعدول عن عزمه لما في ذلك من الخطر عليه فلم يقبل مشورتهم وذهب مع رفيقه الى القس المصاحب لجيشهم كي يخبره بما عزم عليه ويطلب منه أن يصرح لهما بالذهاب حيث أرادا فامتنع من أجازتهما وقال لهما انه على يقين من انهما لن ينجوا اذا ذهبا ولما رأى انهما مصران على الذهاب قال لهما انه لا يعرف مغزى أفكارهما وأوصاهما أن يكونا على الدوام متمسكين بالعدراء فأجابا بالقبول وتوجها من فورهما الى معسكر السلطان وظن من قابلهما من المسلمين انهما خديعة فلما فهما من اشارتهما انهما تريدان نشر الانجيل بين بني سارة زجوهما في السجن وجلدوهما ضرباً بالعصى وكان القديس فرنسوا داسيز يصبح قائلاً سودان سودان وهي اللفظة الوحيدة التي كان يعرفها وأصلها صلا دان وهذه تحريف سلطان ثم انتهى ان تمكن من تعريفهم مقصده في مقابلة السلطان فنثلا بين يديه وهو الملك الكامل خامس الامراء من الايوبيين حكم (من سنة ١٢١٨ الى سنة ١٢٣٨) فسأله عليه وسلم عليهما وسألهما ان كانا يريدان الدخول في الاسلام أو انهما أقبلا برسالة من قبل أميرهما فقالا انهما لن يریدا الاسلام أبداً وانهما أتيا برسالة من الله لكي تنجو حياة السلطان ان أراد اتباع نصحهما وانه ان مات على دينه فهو هالك وانهما يبينان له بالعقل والبرهان ان المسلمين اذا استمروا

على شرائعهم فجميعهم هلكي فقال لهما السلطان ان لديه قساور هبانا لا يمكنه
 أن يسمع قولهما بدون حضورهم فأشاروا عليه بدعوتهم فلما صاروا بحضرته
 مع كبراء قومه وأعيان مملكته أخبرهم بالامر فأشاروا عليه باسم محمد أن
 يقطع رأسيهما لانهم لا يصدقون ما يقولان عملا بالكتاب الذي يحرم سماع
 الوعظ من غير المسلمين وانصرفوا من عنده فلما خلى السلطان بالرسولين قال
 لهما ان المسلمين أشاروا عليه بقطع رأسيهما ولكنه يخالف مشورتهم ويحلى
 سبيلهما لانهما جاءا ليخلصا روحه من الهلاك

(الملحق الخامس)

« تعدد الزوجات في الاسلام »

(نقلا عن أحد المفسرين)

فسر ابن الخازن وهو من أشهر مفسري القرآن وله رأى محدود لدى
 المسلمين الآية الآتية على ثلاث طرق وهى الآية الثالثة من السورة الرابعة
 (وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى
 وثلاث ورباع)

التفسير الاول قال عروة نقلا عن عائشة رضى الله عنها ان الله أراد أن
 يمنع زواج اليتامى الثلاث رسالة حموهن بمن يطمع فى جمالهن وأموالهن
 ولا يعطينهن من الصداق ما يليق بهن تواطئاً مع الاوصياء ولذلك أمر المؤمنين
 أن يختاروا نساء أقل جمالا وأقل مالا يليق بهن ما يقدمون لهن من الصداق
 إلا اذا كان الخاطب قادراً على صداق المثل

التفسير الثانى روى الحسن أنه كان بمكة أوصياء على أقاربهم من النساء
 يجوز لهم أن يتزوجوا منهن وكانوا لا يرغبون فيهن الا حباً باموالهن لاميل
 لجمالهن لانهم لم يكن ليعجبهم وكان للاوصياء نصيب شائع فى تلك الاموال

و يخشون تداخل غيرهم من ذوى القربى بينهم فيتزوجوهن ويسئئون معاملتهن حتى يقضى عليهن فيختصون بما كان لهن من المال فأراد الله أن يرجع الناس عن ذلك وأنزل الآية المشار اليها

التفسير الثالث قال عكرمة عن ابن عباس انه كان فى قريش من يتزوج بعشر نساء وأكثر وكان حالهم يؤول الى الفقر لما تستدعيه لوازم معيشة تلك الزوجات فيتصرفون فى أموال القصر من البنات اللاتي كن تحت وصايتهن فلافاة لهذا الضرر وهو الفقر من جهة وضياع أموال اليتامى من جهة أخرى أمر الناس أن لا يتزوجوا بأكثر من أربع نساء لذلك نزلت الآية الثانية من السورة المذكورة تأمر برد أموال اليتامى اليهن متى بلغن الرشد

هذا هو الذى رواه الثقة ولا يباح لمسلم أن يتزوج بأكثر من أربعة فان ذلك محرم قطعاً ثم لا يجوز له أن يتزوج بأربعة الا اذا كان قادراً على رزقهن

﴿ الملحق السادس ﴾

« مقدمة الشيخ الشعراني »

يرى المسيحيون على الدوام فى تعدد الزوجات عند المسلمين انهما كما منهم على الشهوات والذائدات الجسمانية وهو وهم لاحقيقة له وخطأ فى معرفة أخلاق الشرقيين فقد قلنا ان تعدد الزوجات عند بعضهم أمر تقتضيه وجاهتهم بين قومهم كما كان ذلك معروفاً عند الجرمانيين وكثير من الذين لهم أكثر من زوجة يعيشون عيشة كمال وتقى ووقار وليسمح لى القراء أن آتى على طرف من مقدمة الشيخ الشعراني التى صدر بها كتابه ميزان الشريعة تأييداً لما أقول . لقد خصنى الله أن ولدت من نسل كريم ولكن الشرف مزية باطلة بلا

خوف الله ورهبته وقد خصني الله بمواهبه منذ نعومة الاظفار فحفظت القرآن عن ظهر قلبي ووعيته بأكملة في الثامنة من عمري . وكنت أؤدي الصلاة بأوقاتها ولم أؤخر منها الا واحدة بغير ارادتي واتفق لي مذ كنت صغيرا أني كنت أتلو القرآن بتمامه في صلاة واحدة وقد من الله علي لحفظتي من نزوات الشهوات التي تثور في الانسان من يوم بلوغه الحلم الى أن بلغت الثلاثين . فكنت أرغب عن موجبات التلذذ واستعمل أوقاتي في اكتساب العلم وقليل من الناس حفظوا أنفسهم زمنا طويلا مثلي فالحمد لله الذي حفظني حتى تزوجت فاحفظوا أنفسهم مطهرين إيقانا بلطف الله وحسناته لا اعتمادا على أنفسكم ولكن اذا رأيتم أن الشهوة ستغلبكم فتزوجوا ولو استدتم في سبيل الزواج كي تنجو من الضرر واذا قدرتم فصوموا فهو أولى بكم من الزواج مع الاستدانة وقد أوصى على الخواص غير المتزوجين بالجوع وكثيرا ما كان يعطى الاعزب حبلا يشد به بطنه فلا يشعر بحاجة الى اللذة مادام بطنه مشدودا

وقد وهبني الله أربع نساء فاضلات هن زينب وحليمة فاطمة وأم الحسن كلهن قائمات بواجباتهن تحب النظافة والصلاة وأكثرهن في التقى فاطمة وأم الحسن وكثيرا ما كانت فاطمة تقف خالي في الصلاة وكنا نقرأ في الصلاة ربع القرآن وهي لا تتركني الا اذا بكى ابنها ولم يكن عنده من يقوم مقامها وكانت لا تذهب الى وليمة ولا تحضر عرسا لفرط كمالها وشدة وقارها وأصابها يوما رمدا فخال كمالها بين الطبيب وبين رؤية عينها ولم نفلح في اقناعها ثم شفى المرض ولكن زاوية العين الداخلية ضاقت فخالفت العين أختها وكانت تفضل ذلك على كشف عينها للطبيب وكانت نسائي الاربعة تشجعني في فعل الخير وتعينني عليه وتدفعني الى ايصال الصدقات للمعوزين

﴿المخلق السابع﴾

يعتقد المسلمون ان الآية الاتية المذكورة في الكتاب الخامس من التوراة

تشير الى محمد وتنبئ برسالته وهى (جاء الرب من طور سيناء وتجلي لنا فى صاير
 وظهر فى (فاران) فسينا هو جبل الوحي على موسى وصاير (بالملئآت التحية)
 جبل فى بلاد المقدس وهو مهبط وحى المسيحيين وفاران (١) ببلاد العرب
 مهبط القرآن قال أبو الحسن على الهراوى وهو سائح عربى فى القرن الثانى عشر
 فى رحلته (نصيرة) هى المدينة التى فيها بيت مريم بنت عمران التى ولدت فيه
 وسمى المسيحيون نصارى تبعاً لاسم المدينة المذكورة وهى على مقربة من
 جبل صاير وفى القسم الاول من التوراة ذكر لموسى وعيسى ومحمد عليه السلام
 لانه مذكور فيه (اتى الله من سيناء واراد ان يمجده موسى على ذلك الجبل)
 ومذكور فيه ايضاً (واطهر فى صاير علامة باهرة تدل على ان عيسى سيظهر فى
 نصيرة المقدسة) وفيه ايضاً وأظهر فى جبال (فاران) علامة يعرف بها أن محمداً
 بعث رسولا هذا هو كلام التوراة (انتهى)

لعله يريد جبل حرا

فهرست كتاب الاسلام

صحيفة ١ . مقدمة المترجم . فاتحة المؤلف

الفصل الاول

ص ٧ . صدق محمد صلى الله عليه وسلم وفيه مباحث . الاول محمد والاغاز
 المعروفة بأغاني الاشارات . الثانى . محمد والتاريخ . الثالث . أصل الاعتقاد
 الرابع . الوحي بالقرآن . الخامس . ليس محمد مبتدعاً . السادس . هل كان علم
 الدوام صدقاً . السابع . وفاته .

الفصل الثانى

ص ٣٠ الاسلام فى زمن الفتح ومدة حكم العرب وفيه مباحث : الاول
 استعصاء بلاد العرب على الاسلام . الثانى القديس أوغستان ومعاينة أهل

البدع . الثالث . انتشار الاسلام وملاينته في الشرق . الرابع . اعتناق الاسلام
بمصر في زمن بنى أمية . الخامس . الاسلام في الاندلس . السادس . اضطهاد
قرطبة . السابع . تعذيب فلورا العذراء . الثامن . المضطهدون في مراکش
التاسع . نتائج ملاينة الدين الاسلامي

الفصل الثالث

ص ٥١ تعدد الزوجات وفيه مباحث . الاول . تعدد الزوجات قبل
الاسلام . الثاني . تعدد الزوجات في القرآن . الثالث . الحشمة عند المسلمين

الفصل الرابع

ص ٦١ جنات المسلمين وفيه مباحث . الاول . الحياة الآخرة . الثاني
السعادة الآخروية في مذهب المسيحيين . الثالث . الرمز والتفسير . الرابع
السعادة الآخروية في مذهب المسلمين

الفصل الخامس

ص ٦٩ القضاء والقدر وفيه مباحث . الاول . متشابهات القرآن ومذهب
الناسخ والمنسوخ . الثاني . الاختيار . والقضاء والقدر في القرآن والحديث
الثالث . مذهب توماس . ومذهب مولينا . الرابع . الجبرية والقدرية

الفصل السادس

ص ٨٢ . انتشار الاسلام أيام الفتوحات العربية وفيه مباحث . الاول .
تخطيط ممالك الاسلام . الثاني . انتشاره في افريقيا الوسطى . الثالث . تجار
المسلمين ومستكشفو الاورباويين . الرابع . الاسلام في مبدئه وبعد ذلك .
الخامس . أسباب الانتشار . السادس . المرسلون والمسلمون . السابع . القول بوسيون
والخواصة . السابع . أسباب انتشار الاسلام الالهية

الفصل السابع

ص ٩٤ الاسلام في الجزائر وفيه مباحث . الاول استعصاء المسلمين عن التنصر . الثاني . المبشرون بغير رسالة . الثالث . جمعيات الدين في الاسلام . الرابع . غرض تلك الجمعيات . الخامس . تحول الهيئة في المسلمين . السادس . التقليد السابع التوراة ص ١٠٨ . خاتمة

« ملحقات »

« الملحق الاول »

ص ١١٣ أفكار المسيحيين في القرون الوسطى بالنسبة للنبي والدين الاسلامي قصة فتوح اورشليم . قصة لودان دوسيور . قصة شاعر ريمس . قصة المرور في الارض المقدسة . قصة الغزوة الكبرى . قصة جيبيري دي نوجان . قصة الحرب الصليبية الاولى - قصة السفر الى الارض المقدسة . رسائل ريكونولدوسياحة أمير انجلور . أخبار القديس دينيس . قصة مركبروس . حكاية جونفيل . قصة يتربان الكاذب . المرأة التاريخية . كتاب البابا بي الثاني الى السلطان محمود الثاني « الملحق الثاني ص ١٣٧ كتاب سان أوغستان الى الكونت بونيفاس

« الملحق الثالث » ص ١٤١ مقابلة بين الصيغة التي يقولها مسيحي يعتنق

الاسلام والتي يقولها مسلم ينتصر ص ١٥٦ الصيغة التي يقولها المسيحي في سلامه . الصيغة المستعملة في الكنيسة اليونانية لخروج المسلم عن دينه

(الملحق الرابع) ص ١٤٥ قتلى مراکش . مقابلة القديس فرنسوا داسيز

مع سلطان مصر على معسكر دمياط سنة ١٢١٦م

(الملحق الخامس) ص ١٤٩ تعدد الزوجات في الاسلام

(الملحق السادس) ص ١٥٠ مقدمة الشيخ الشعراي

(الملحق السابع) ص ١٥١ تفسير آية من التوراة

آخری درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستعار
لی گئی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ یو دیدہ دیرا نہ لیا جائے گا۔

۲۹/۷

↑ →

۲۹^۳۷

والله اعلم

25 69/52

[illegible]

